جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

أوجه الشبه والاختلاف
بين قصتي يوسف وموسى ( )
من خلال سورتي يوسف والقصص
(دراسة موضوعية)

إعداد الدكتور

أسامه عبد الرحيم محمد حسين

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثامن والثلاثون، لعام 1440هـ/2019م والمودعة بدار الكتب تحت رقم 2019/6157
والترقيم الدولي I.S.S.N 2636-2481

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت 0482222090

ملخص البحث

أوجه الشبه والاختلاف بين قصتي يوسف وموسى ( )
من خلال سورتي يوسف والقصص
(دراسة موضوعية)

يدور هذا البحث حول دراسة قصتي نبيي الله يوسف وموسى ( )، كما وردتا في سورة (يوسف والقصص) في محاولة للوقوف – موضوعيا – على أوجه التشابه والاختلاف بينهما, من حيث إن السورتين الكريمتين فد استفاضتا في سرد قصة الرسولين العظيمين, منذ المولد إلى النهاية؛ فبينهما وجُوه متقاربة، وأحوال متشابهة وبعض الفروق الملحوظة؛ ولعل هذا مرتبط بشكل كبير بالأحداث المثيرة التي شهدتها كل قصة، وارتباطهما بتطورات تاريخية ونوع من الصراع بين الحق والباطل، والتشابه في المخاطر التي تعرض لها كل نبي.

عن طريق استقراء التفسير الموضوعي للآيات الكريمة محل البحث, دون استطراد لتفسير السورتين تفسيرا تحليليا – قدر المستطاع – وصولا إلى مجموعة من وجوه التشابه ونقاط الخلاف التي حظيت بها كل قصة في السورتين، للوقوف على العبر المستفادة من كل قصة، وغير ذلك من النتائج المهمة في هذا السياق.

ويضم البحث في طياته **تمهيدا وثلاثة مباحث:**

- **أما التمهيد:** وتناول فيه الحديث عن مفهوم القصة في اللغة والاصطلاح، كما عرضت لأنواع القصص كما وردت في القرآن الكريم، ثم التعريف بالنبيين الكريمين, كذلك ألقيت ضوءا كاشفا على سورتي (يوسف، القصص).

المبحث الأول: وتناول جانبا من حياة يوسف وموسي ( ) من حيث النشأة والطفولة وحياة القصور.

- **المبحث الثاني:** وجاء الحديث فيه عن رحلة الابتلاء والاختبار التي شهدها كل منهما.
- **المبحث الثالث:** وقد تناول ما آلت إليه أحداث قصتيهما، والنهاية السعيدة التي جمعت بينهما.

الكلمات الافتتاحية: الشبه – الاختلاف – قصة – دراسة موضوعية.

الدكتور

أسامة عبدالرحيم محمد حسين

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

RESEARCH SUMMARY

The Similarities and Differences between the Stories of Yassif and Moisi Peace be Upon them through Surat Yousif and Al-Qassas (Objective Study)

This research revolves around the study of the stories of the prophets of Joseph and Moses, peace be upon them, as mentioned in Surat (Joseph and stories) in an attempt to objectively - to look at the similarities and differences between them, in that the two suras have elaborated on the story of the two great apostles, from birth to the end These are closely related to the dramatic events of each story, their association with historical developments and a kind of conflict between truth and falsehood, and the similarity in the dangers to which each prophet was exposed.

By extrapolating the objective interpretation of the verses in question, without further digressing the interpretation of the two Surat analytical interpretation - as much as possible - to reach a set of similarities and points of disagreement enjoyed by each story in the two Surat, to find out the lessons learned from each story, and other important results in This context.

The research includes a prelude and three topics:
The preamble: dealt with talk about the concept of the story in the language and terminology, as presented to the types of stories as contained in the Koran, and then the definition of the prophets, as well as a spotlight on my wall (Joseph, stories)

The first topic: and dealt with part of the life of Joseph and Moses - peace be upon them - in terms of development and childhood and life of palaces.
The second topic: The talk about the journey of affliction and testing witnessed by each.
The third topic: has dealt with the events of their stories, and the happy ending that brought them together.

Key Word: The Similarities – Differences – Story - Objective Study.

Dr: Osama Abdul Rahim Mohammed Hussein

Lecturer, Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wa, Assiut

E mail: osamaabdelrahim2020@gmail.com

المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف المرسلين, سيدنا محمد, وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد؛؛؛**

إن قراءة القرآن الكريم المبنيَّةَ على الفهم والتدبر, هي التي تجعل القارئ أو السامع منتفعا بهدي كلامه – سبحانه – وتمنحه معرفة ما تُكِنُّه هذه الآيات الكريمة من معارف وهدايات, وتدفعه إلى العمل الصالح دفعا قويا.

وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار, وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه من حيث إن الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج؛ يهفو إليها السامع, فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين, كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس.

وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من قصص الأنبياء ( ), ومن المعلوم أن الوقوف على قصصهم ( ) والاتصال بها, ومدارستها وإمعان النظر فيها؛ من أوثق عُرَى المعرفة والإفادة.

ومن القِصص المؤثرة التي ذكرها القرآن الكريم: قصة النبيين الكريمين يوسف وموسى ( ) في سورتي (يوسف والقصص), واللتان استفاضتا في سرد قصة الرسولين العظيمين, منذ المولد إلى النهاية؛ فبينهما وجُوه متقاربة، وأحوال متشابهة وبعض الفروق الملحوظة؛ ولعل هذا مرتبط بشكل كبير بالأحداث المثيرة التي شهدتها كل قصة، وارتباطهما بتطورات تاريخية ونوع من الصراع بين الحق والباطل، والتشابه في المخاطر التي تعرض لها كل نبي.

ولقد درست القصتين الواردتين في السورتين الكريمتين، طالباً أوجه التشابه والاختلاف بينهما, من حيث النشأة لكلا النبيين العظيمين, ومن حيث الأحداث التي مروا بها, كالإلقاء في الماء, وما تلاه من فقدانهما, ومن تربيتهما في قصر

ذي شأن كبير, ثم ما جرى عليهما من أحكام القدر, وكيف أن المولى تعالى قد أعطاهما النبوة, وآتاهما علما وحكما, ثم الضيق والمحن التي مرا بها, ثم النهاية السعيدة التي كانت في انتظارهما في نهاية المطاف.

وقد جاء البحث مشتملا على **تمهيد وثلاثة مباحث** بيانهم كالآتي:

- **التمهيد:** وفيه التعريف بالقصة لغة واصطلاحا, وأنواع القصص في القرآن الكريم, والتعريف بالنبيين الكريمين يوسف وموسى ( ) ثم التعريف بالسورتين الكريمتين:
- **المبحث الأول: يوسف وموسي ( ) بين النشأة والطفولة وحياة القصور.**
- **المبحث الثاني: يوسف وموسى ( ) ورحلة الابتلاء والاختبار.**
- **المبحث الثالث: يوسف وموسى ( ) والنهاية السعيدة.**

وقد حاولت – قدر المستطاع – أن أجعل ما ذكرته من مباحث, جامعا لأوجه التشابه والاختلاف في قصة الرسولين الكريمين ( ), بالترتيب اللائق, حتى لا أترك أمرا في المنتصف يقطع التسلسل الطبيعي للقصة, وكأنها قصة واحدة منمقة, مجتمعة الأطراف, هادفة؛ لأخذ العبرة والعظة في كل حلقة من حلقاتها من البداية إلى النهاية.

فجاءت الدراسة متفقة وطبيعة الموضوع، وما تطلبته من إجراءات ووسائل تفسيرية تخدم الغاية من البحث؛ اكتفيت في الكثير منها على التفسير الموضوعي للآيات الواردة في السورتين محل الدراسة, دون استطراد لتفسير السورتين تفسيرا تحليليا – قدر المستطاع – فهذا ليس مطلوبا هنا.

والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه, وأن نقتدي – قدر المستطاع – بما فعله الرسولين الكريمين في حياتهما, وأن نكون جديرين بأن نأخذ العظة والعبر من قصتهما.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث/

التمهيد

ويشتمل على:

أولا: التعريف بالقصة لغة واصطلاحا.

ثانيا: أنواع القصص في القرآن الكريم.

ثالثا: التعريف بالنبيين الكريمين يوسف وموسى ( ).

رابعا: التعريف بالسورتين الكريمتين.

أولا: التعريف بالقصة لغة واصطلاحا:

القصة لغة: "من القص, يقال: قَصَّ أثرَه، أي تتبَّعه, قال الله تعالى: **{فارتدا على آثارِهما قَصَصاً}**، وكذلك اقْتَصَّ أثرَه، وتَقَصَّصَ أثرَه[1].

وَ(الْقِصَّةُ) الأمر والحديث وقد اقْتَصَّ الحديث، وقَصَّ الحديث: رواه على وجهه، وقَصَّ عليه الخبر قَصَصاً، والاسم أيضا القَصَصُ بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصَصُ بالكسر جمع القِصَّةِ التي تكتب[2].

وقال ابن منظور: والقصة الخبر، وهو القَصص، وقصَّ عليَّ خبره يقُصه قصاً وقصصاً، والقصص الخبر المقصوص، وضِع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب، وتقصص الخبر تتبعه،

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ): 1051/3، مادة (قصص)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة 1407هـ – 1987م.

(2) مختار الصحاح لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ): 254/1، مادة (ق ص ص)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: الخامسة 1420هـ–1999م.

والقِصة الأمر والحديث، واقتصصت الحديث رويته على وجه، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، ويقال: خرج فلان قصصاً في أثر فلان وقصاً، وذلك إذا اقتصَّ أثره[1].

فالمعنى اللغوي يدور حول سرد الحديث والخبر وتجميعه وتتبعه أولا فأول حتى يتضح ويمتاز وينتهي.

وللقصة في الاصطلاح تعاريف كثيرة لدى العلماء، منها ما ذكره الرازي بأنها: مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة[2].

وقيل: هي كشف عن آثار وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد لهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة[3].

والذي يبدو أن التعريف الاصطلاحي للقصص يعني الأخبار السابقة والأحاديث الماضية التي لا ترتبط بوقت ولا زمن معين، ولكنها في الْقُرْآن الكَرِيم دالة على التاريخ الماضي حصراً.

فالقرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام.

---

(1) ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: 74/7، مادة (قصص)، الناشر: دار صادر – بيروت.

(2) مفاتيح الغيب للعلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: 74/8، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1421هـ–2000م.

(3) ينظر: القصص الْقُرْآني في منظومه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب، ص40، بيروت، لبنان (د . ت).

ثانيا: أنواع القصص في القرآن الكريم:

والقصص في **القرآن** على أنواع ثلاثة:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله (كغزوة بدر وأُحد) في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك[1].

والبحث الذي بين أيدينا يمثل النوع الأول، وهو قصص الأنبياء، وقصة يوسف (عليه السلام) حدثت أولا، وقد كان قبل موسى في الزمن؛ فآثرت ذكر قصة يوسف (عليه السلام) في البداية، ثم ثنيت بقصة موسى (عليه السلام) وفي القصتين من العبر والعظات ما يبهر أولو الألباب.

ثالثا: التعريف بالنبيين الكريمين يوسف وموسى ( ):

(1) **التعريف بيوسف** (عليه السلام):

هو يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ( ) وتتكون كلمة (يوسف): بالعبرية من مقطعين: يوه – سف، ويعني (يهوه يزيد) ويهوه هو اسم من أسماء

---

(1) ينظر: القصص في القرآن الكريم لإسلام محمود دربالة: 2/1، ط: دار الفكر 2002م.

الله عند اليهود، وبالتالي يكون معناه (الله يزيد) أي أن الله يزيد كل خير من عنده؛ وهو ليوسف ابن إسرائيل (يعقوب) من زوجته راحيل أو (ريتشل)[1].

وقد كان ليعقوب **من** البنين اثنا عشر ولدا ذكرا، وإليهم تنسب أسباط بني إسرائيل كلهم[2]، وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف (عليه السلام).

وهو الذي سمّاه نبينا (ﷺ): الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، فقد ورد في صحيح البخاري، من حديث ابن عمر، عن النبي (ﷺ) قال: "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"[3].

وتتكون كلمة (إبراهيم): بالعبرية من مقطعين: آب – راهام، ومعناه (أب رحيم) وكان اسمه من قبل (آبرام) أي (أب الأمم) ولأنه أوّاه سمَّاه الله (إبراهيم) وهو أبو الأنبياء[4].

وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن أشرغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح.

قال أبو محمد: هكذا قال وهب، وقابلت بهذه النسبة ما في التوراة فوجدتها موافقة، إلا أنى وجدت مكان «أشرغ» شاروغ[5].

---

(1) ينظر: معاني أسماء الأنبياء: 5/1 .

(2) ينظر: تفسير ابن كثير: 317/4.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه الجامع الصحيح المختصر، كتاب: الأنبياء، باب: {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت}: 1237/3، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط: الثالثة 1407هـ-1987م.

(4) ينظر: مَعَاني أَسمَاء الأَنْبِيَاءْ: 4/1 .

(5) ينظر: المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ): 30/1، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: الثانية 1992م.

(2) **التعريف بموسى (عليه السلام):**

هو موسى بن عمران بن قَاهِثَ بْنِ عازر بن لاوى بن يَعْقُوب بن إِسْحَق بن إِبْرَاهِيم ( )، كذا قال ابن كثير[1] فجاء موسى بن عمران من نسل أحد أبناء يعقوب، وهو لاوي بن يعقوب (عليه السلام)، فبين نبيي الله يوسف وموسى قرابة في النسب, وكان موسى (عليه السلام) جعدًا آدم طوالًا، في أرنبته شامة وعلى طرف لسانه شامة، وهي العقدة التي ذكرها الله تعالى، فبلغ من العمر مئة وسبع عشرة سنة، اجتمع به نبينا (ﷺ) ليلة الإسراء، وأشار عليه بالتردد إلى المولى – سبحانه – في تخفيف الصلاة، فرضت خمسين فصارت إلى خمس، فله علينا بذلك المنة (ﷺ)[2].

فقد أخرج مسلم[3] عن أن عَبَّاسٍ قال: قال رسول الله (ﷺ): "مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ (عليه السلام) رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ"[4].

---

(1) ينظر: قصص الأنبياء لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ): 3/2، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة، ط: الأولى 1388هـ 1968م.

(2) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت 709هـ): 519/1، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط: الأولى 1423هـ–2003م.

(3) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، كتاب: الإيمان، باب: الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ: 105/1، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.

(4) وقوله: ("كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ") أي: في طوله وسمرته, وشَنُوءَة قبيلةٌ من قحطان، وشنوءة على وزن فعُولة. =

رابعا: التعريف بالسورتين الكريمتين:

في البداية أريد أن أنوه أن جميع أسماء السور توقيفية، وتدل على ذلك الأحاديث والآثار، قال العلامة السيوطي: (وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبينت)[1].

والمعروف أن تسمية السور القرآنية على ما يبدو من أسمائها، كتسمية السورة بكلمة أو باشتقاق كلمة واردة فيها، وأن اختلاف المصاحف في تسمية بعض السور ناشئ عن تعدد الروايات الواردة في ذلك[2].

قال العلامة الزركشي: ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء, وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لقرينه ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها[3].

= تظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت 804هـ): 112/19، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، ط: الأولى 1429هـ-2008م.

(1) الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ): 186/1، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ-1974م.

(2) ينظر: المصاحف لأبي بكر عَبْد الله بن أَبِي داود السجستاني (ت 316هـ)، ص 182، 183، نشره: د/ آرثر جفري، مطبعة، مصر 1936م.

(3) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ): 269/1، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: الأولى 1376هـ-1957م.

وهي إحدى السور المكية التي أفردتْ الحديث عن قصة نبي الله « يوسف ابن يعقوب» وما لاقاه من أنواع البلاء، ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته، ومن الآخرين في بيت عزيز مصر, وفي السجن, وفي تآمر النسوة حتى نَجَّاهُ الله من ذلك الكرب العظيم، وقد تحولت المحنة فيها إلى منحة, وتردد فيها اسم يوسف خمسا وعشرين مرة، وهي من أحب القصص عند كثير من الناس، وستظل واحدة من أحسن القصص كما وصفها القرآن.

وقد نزلت بعد سورة يونس وعدد آياتها إحدى عشر ومائة, وقد أورد ابن كثير في تفسيره[1] في سبب نزول السورة الكريمة، عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي (ﷺ) القرآن، قال: فتلا عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصتَ علينا, فأنزل الله (ﷻ): {**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**} إلى قوله: {**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**}، ثم تلا عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا, فأنزل الله (ﷻ): {**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**} الآية [الزمر: 23]، وذكر الحديث[2].

---

(1) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 – 774هـ): 356/4، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية 1420هـ 1999م

(2) رواه أبو عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين: 376/2، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1411هـ–1990م.
وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي), وحسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: 738/14، برقم (3634). المحقق: رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د/ سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، ط: الأولى 1419هـ, وهو في: الصحيح المسند من أسباب النزول لمُقْبل بن هَادِي الهَمْدَاني الوادِعِيُّ

فالسورة إذن مكية جميعها, وعن ابن عباس: إلا أربع آيات: ثلاث من أولها، والرابعة: **{لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ}** [يوسف:111], وهي مئة وإحدى عشرة آية بلا خلاف, وتأخذ الترتيبَ الثاني عشر بين سور القرآن الكريم[1].

ولكن ما قيل من أن الثلاث منها مدنيات لا تصح روايته، ولا يظهر له وجه، وهو يخل بالنظم الكريم، قال[2] الطاهر بن عاشور: (وهي مكيّة على القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره).

قال الرازي: نزلت بعد سورة هود[3]، وقال[4] ابن عاشور: (وقبل سورة الحجر، وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السّور على قول الجمهور).

والمناسبة بينها وبين **سورة** هود أنها متممة لما فيها من قصص الرسل، والاستدلال بذلك على كون القرآن وحيا من عند الله، دالا على رسالة محمد (ﷺ)

(ت 1422هـ): 120/1، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الرابعة مزيدة ومنقحة، 1408هـ 1987م.

(1) دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471هـ): 119/2، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير الناشر: دار الفكر – عمان، الأردن، ط: الأولى 1430هـ–2009م.

(2) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: 197/12، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس 1997م.

(3) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ): 416/18، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة 1420هـ.

(4) التحرير والتنوير: 197/12.

خاتم النبيين، والفرق بين القصص فيها وفيما قبلها، أن السابق كان قصص الرسل مع أقوامهم فى تبليغ الدعوة والمحاجة فيها وعاقبة من آمن منهم، ومن كذبوهم لإنذار مشركى مكة, ومن **تبعهم** من العرب[1].

ومن هنا يتبين لنا المدة الحرجة التي نزلت فيها السورة، حيث كان ذلك في عام الحزن، فقد نزلت سورة يوسف في فترة الحزن على وفاة خديجة (رضي الله عنها) وأبو طالب – عم النبي، الذي كان يحميه، وهي فترة اشتدّ فيها أذى المشركين للنبي ? فنزلت هذه السورة تسلية للنبي (ﷺ) ولصحابته، فهي تقول لهم: إن يوسف (عليه السلام) الذي مر بمصائب عظام، وشدائد جسام، ومحن يرقق بعضها بعضاً، قد نجا منها جميعاً، وكانت عاقبته تلك العاقبة الحميدة، فاصبروا كما صبر الرسل، وثقوا بموعود الله لكم، فإنكم بعد هذا البلاء وهذا الأذى ستنتصرون – بإذن الله – ولذلك قال الله – تعالى – في آخرها: **{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ}** [يوسف: من الآية110][2].

أما سورة القصص فقد سميت بذلك الاسم لاشتمالها على كلمة (القصص) في قوله تعالى: **{وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ}** [القصص: 25]، أي: وقص موسى على شعيب.

---

(1) تفسير المراغي للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ): 106/12، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى 1365هـ-1946م.

(2) سورة يوسف فوائد وفرائد لمحمد بن خالد الخضير: 4/1، ط: ط: دار الفكر 2007م.

وهي السّورة الوحيدة التي انفردت بذكر موسى (عليه السلام) وسبب هجرته من مصر إلى مدين، وهو المذكور بعد تفصيله بقوله تعالى: {**فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ**} [القصص:6][1].

فالسورة تحكي قصة موسى (عليه السلام), وهو في مصر مع المصريين، وليس قصصه مع فرعون وقومه، ولعل هذا القصص الخاص هنا هو الوجه في تسمية السّورة باسم (القصص)[2].

وتسمى أيضاً **سورة** (طسم) على ما ورد في بعض الروايات [3], وتسمى أيضاً سورة موسى، وهو رأي شاذ[4].

وترتيب سورة القصص بين سور القرآن أنها السورة الثامنة والعشرون، وعدد آياتها ثمانية وثمانون **آية**، ولا يماثلها في عدد آياتها إلا سورة (ص)، وعدد حروفها خمسة آلاف وثمانمائة حرف[5].

---

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ): 353/1، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(2) إلى القُرْآن الكَرِيم لمحمود شلتوت، ص111، دار الهلال (د . ت).

(3) مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير، جمع وتخريج: أحمد أحمد البزرا، ومُحَمَّد بن برزق بن الطرهوني، وحكمت بشير ياسين: 3 /329، ط: الأولى، مكتبة المؤيد، السعودية 1414هـ 1994م.

(4) الفتوحات الإلهية بتوضيح تَفْسِير الجلالين للدقائق الخفية للعَلاَّمَة الشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور بالجمل (ت 1204هـ): 3 /333، مطبعة الاستقامة، القاهرة (د . ت).

(5) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ): 356/3، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1415هـ.

وعدد كلماتها ألف وأربعمائة وكلمة واحد[1].

وسورة القصص مكيـة كلهـا كـما ذكـر ابن كثير[2], وقـال ابن عباس (رضي الله عنهما)

(1) ينظر: بصائر ذوي التمييز: 353/1.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 198/6.

وقتادة: مكية إلا آية نزلت بين مكة والمدينة[1]، قال ابن سلام: نزلت بالجحفة[2] في وقت هجرة النبي (ﷺ) إلى المدينة، وهي قوله (ﷻ): {**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**}[3] [الْقَصص: 85].

قال العلامة ابن عاشور: وهذا لا يناكد أنها مكية لأن المراد بالمكي ما نزل قبل حلول النبي (ﷺ) بالمدينة[4].

وحينما نستعرض موضوعات السورة الكريمة وننظر في آياتها نلاحظ أنها سورةٌ مكية، فليست فيها تشريعاتٌ ولا تفاصيل أحكام ولا وصف شيءٍ مما كان في المدينة بعد الهجرة.

قال ابن عاشور[5]: "ويقرب عندي أن يكون المسلمون ودوا أن تفصل لهم قصة رسالة موسى (عليه السلام)، ولذلك قال تعالى في أولها: {**نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**} [القصص: 3]، أي للمؤمنين".

---

(1) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ): 374/3، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى 1422هـ، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ): 391/3، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة 1407هـ.

(2) الجحفة: موضع بين مكة والمدينة .

معجم البلدان لشهاب الدِّيْن ياقوت بن عَبْد الله الحموي الرومي البغدادي أبو عَبْد الله (ت 626هـ): 114/3، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د . ت).

(3) ينظر: بصائر ذوي التمييز: 353/1.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 61/20.

(5) ينظر: التحرير والتنوير: 63/20.

ومن ثم يتضح التشابه بين قصة موسى (عليه السلام) في سورة القصص، وبين قصة يوسف (عليه السلام) الواردة في سورته، فكلاهما نزل تسلية لرسول الله وصحابته، وطمأنينة لهم بأن النصر سيكون حليفهم، قال الطاهر بن عاشور: (وجاء لفظ القصص في سورة يوسف، ولكن سورة يوسف نزلت بعد هذه السورة)[1].

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 61/20.

المبحث الأول

يوسف وموسي ( ) بين النشأة والطفولة وحياة القصور

إن أوجه التشابه في النشأة والطفولة والحياة الأولى بين النبيين العظيمين من الظهور والوضوح بمكان؛ حيث تشابهت الظروف المحيطة بنشأة كل؛ فقد مرا بظروف متشابهة إلى حد كبير، فأحدهما وهو يوسف (عليه السلام) ألقي في الجب, والآخر وهو موسى (عليه السلام) ألقي في اليم, ثم فقدا بعد ذلك، كما أنهما عاشا بمصر في قصر ذي شأن.

وكما خيمت حالة من الحزن الشديد على الأب لفراق ابنه الحبيب بعد أن ألقاه أخوته في الجب، مع وثوقه بموعود ربه بلم الشمل والتقاء الأحبة.

كذلك أصاب الحزن أم موسى حين ألقته في اليم استجابة لأمر ربها وخلافا لما حدث من أخوة يوسف؛ كانت الأخت هنا هي من بحثت عن أخيها وتقصت خبره وساعدته، وهكذا تعددت أوجه الشبه والقواسم المشتركة في سير أحداث القصتين.

ففي قصة يوسف (عليه السلام) جاءت بداية الأحداث استجابة لدافع الحسد الذي اعتمل في صدور الأخوة الذين ملأهم الحنق على أخيهم الصغير، ودفعهم حسدهم إلى إلقاءه في غيابة الجب.

قال المفسرون "رأى يوسف (عليه السلام) وهو صغير قبل أن يحتلم كأن (أحد عشر كوكبا) وهم إشارة إلى بقية إخوته (والشمس والقمر) وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له فهاله ذلك، فلما استيقظ قصها على أبيه فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة بحيث يخضع له أبواه وإخوته فيها, فأمره بكتمانها وأن لا يقصها على إخوته؛ كيلا يحسدوه ويبغوا له الغوائل ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر وهذا يدل على ما ذكرناه؛ ولهذا جاء في بعض الآثار:« اسْتَعِينُوا

عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِكِتْمَانِهَا فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ »[1]، وعند أهل الكتاب أنه قصها على أبيه وإخوته معا وهو غلط منهم[2].

ولما طرحوه في الجب "رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء باكين، فعند ذلك فزع يعقوب وقال: هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا قال: فما فعل يوسف؟ قالوا: **{ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ متاعنا فَأَكَلَهُ الذئب}** فبكى وصاح وقال: أين القميص؟ فطرحه على وجهه حتى تخضب وجهه من دم القميص. وروي أن امرأة تحاكمت إلى شريح فبكت فقال الشعبي: يا أبا أمية ما تراها تبكي؟ قال: قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للإنسان أن يقضي إلا بالحق"[3].

---

(1) قال الزيلعي: رواه الطبراني في معجميه الكبير والصغير والبيهقي في شعب الإيمان في آخر الباب الثالث والأربعين وأبو نعيم في الحلية في ترجمة خالد بن معدان كلهم من حديث سعيد بن سلام العطار حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (ﷺ): (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود)، وفي رواية للطبراني: (استعينوا على أموركم)، ورواه ابن عدي في الكامل وأعله بسعيد العطار وأسند إلى البخاري أنه قال يذكر بوضع الحديث وإلى ابن نمير أنه قال كذاب، ورواه العقيلي أيضا وقال سعيد ضعيف ولا يتابع عليه ولا يعرف إلا به، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من الطريقين وقال المتهم به في الأولى سعيد العطار قال ابن حنبل كذاب وفي الثاني حسين قال ابن حبان يضع الحديث. ينظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي: 361/2، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط: دار ابن خزيمة، الرياض، ط: الأولى 1414هـ.

(2) ينظر: البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ): 228/1، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى 1408هـ-1988م.

(3) انظر: تفسير الرازي: 429/18.

قال بعض المفسرين: جعلوا يدلونه في البئر، فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه، ردّوا عليّ قميصي أتوارى به، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً، فدلّوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت، فكان في البئر ماءٌ فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها فلما أَلْقَوْهُ في الجب جعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة، فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام[1].

قال أكثر المفسرين: إن الله أوحى إليه وحيا حقيقة, فبعث إليه جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج, ويخبره أنه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا، فقال بعضهم إنه كان بالغا، وكان عمره خمس عشرة سنة, وقال آخرون: بل كان صغيرا إلا أن الله (ﷻ) أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة، كعيسى (عليه السلام)[2].

ثم بعد ما باعوه لم يعلموا ما صنع الله به، فكان في عداد المفقودين المجهولين، الذين لا يعلم حالهم، فقدّر الله تعالى ألا تطول غربة يوسف ومأساته ووحشته في البئر فقد (مرّت سيارة، أي قوم مسافرون معا من مدين إلى مصر، وأشدّ ما يحتاج إليه المسافرون عبر الصحراء والمسافات البعيدة هو الماء، فأرسلوا من يستقي لهم الماء من بئر وجدوها في الطريق في الأردن، على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب (أي حوالي 15 كم)، فألقى دلوه في البئر ليملأها، فتدلى بها يوسف وتمسّك بالحبل، وصعد مع حبل الدلو، فقال الوارد المستقي المدلي مبشّرا

---

(1) انظر: تفسير زاد المسير: 418/2، هذه الرواية غالباً من الإسرائيليات، وقد تكون صحيحة، وقد تكون غير صحيحة فوجب علينا التوقف فلا نكذبها ولا نصدقها.

(2) انظر: تفسير الخازن: 516/2.

نفسه وقومه: يا بشارتنا العظمى، يا بشراي، هذا غلام، فحملوه مع قافلتهم، وأخفوا أمره عن الرفاق المسافرين، جاعليه متاعا للتجارة، والله عليم بأفعالهم، لم يخف عليه إسرارهم في أنفسهم أنهم يتّخذونه بضاعة لأنفسهم)[1].

وقد قال الله تعالى في ذلك: **{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}** [يوسف: 19، 20].

ففقد يوسف (عليه السلام) بعد أن اشتراه الذي من مصر، وانتقل من مكان إلى مكان، انتقل من الشام إلى مصر، من هنا فقد، ولم يعلم إخوته أين هو، ولا إلى أي مكان ذهب إليه.

وإذا كان الحقد والحسد هو المحرك الرئيس وراء إلقاء يوسف (عليه السلام) فإن الرضوخ إلى أمر الله والاستجابة له كان هو الدافع إلى صنيع أم موسى (عليه السلام) حين ألقته في اليم تهدد وليدها بالذبح من قبل فرعون، وهنا يتجلى تباين النوايا واختلاف الأسباب في أحداث القصتين.

قال ابن كثير: "ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل، خافت القبط أن يُفْني بني إسرائيل فَيَلُون هم ما كانوا يلونه من الأعمال الشاقة, فقالوا لفرعون: إنه يوشك – إن استمر هذا الحال – أن يموت شيوخهم، وغلمانهم لا يعيشون، ونساؤهم لا يمكن أن يَقُمْن بما يقوم به رجالهم من الأعمال، فيخلص إلينا ذلك.

فأمر بقتل الولدان عامًا وتركهم عامًا، فولد هارون (عليه السلام) في السنة التي يتركون فيها الولدان، وولد موسى (عليه السلام) في السنة التي يقتلون فيها الولدان، وكان

(1) انظر: التفسير الوسيط للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي: 1098/2، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط: الأولى 1422هـ.

لفرعون أناس موكلون بذلك، وقوابل[1] يَدُرْنَ على النساء، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يَقْبَلُها إلا نساء القبط، فإذا ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلامًا دخل أولئك الذبَّاحون، بأيديهم الشفار المرهفة، فقتلوه ومضوا قَبَّحَهُم الله.

فلما حملت أم موسى به (عليه السلام) لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها، ولم تفطن لها الدايات، ولكن لما وضعته ذكرًا ضاقت به ذرعًا، وخافت عليه خوفًا شديدًا وأحبته حبًّا زائدًا، وكان موسى (عليه السلام) لا يراه أحد إلا أحبه، فالسعيد من أحبه طبعا وشرعًا قال الله تعالى: **{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي}** [طه: 39] فلما ضاقت ذرعًا به ألهمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفث في روعها، كما قال الله تعالى: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** [القصص: 7]"[2].

وفي قوله: **{فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ}** قولان: أحدهما: إذا خِفْتِ عليه القتل، والثاني: إذا خِفْتِ عليه أن يصيح أو يبكي فيُسمع صوتُه, وفي قوله تعالى: **{وَلا تَخافِي}** قولان: أحدهما: أن يغرق، والثاني: أن يضيع[3].

قال البيضاوي: روي أنها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها، فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه في قلبها بحيث منعها من السعاية، فأرضعته ثلاثة

---

(1) (الْقَابِلَة) الْمَرْأَة الَّتِي تساعد الوالدة تتلقى الْوَلَد عِنْد الْولادَة (ج) قوابل.
ينظر: المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، باب: القاف: 712/2، الناشر: دار الدعوة.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: 221/6.

(3) انظر: الكشف والبيان: 233/7.

أشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فأخذت له تابوتاً فقذفته في النيل[1].

واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقي موسى في اليم، فقال بعضهم: أمرت أن تلقيه في اليم بعد ميلاده بأربعة أشهر، وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي بعد حال سقوطه من بطن أمه.

وقال آخرون: بل أمرت أن تلقيه في اليم بعد وِلَادِهَا إياه، وبعد رضاعها, وأولى قول قيل في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم.

وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من وِلَادِهَا إياه وأي ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان من أي، فأولى الاقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال –جل ثناؤه –، واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل[2].

فما حدث لموسى (عليه السلام) مشابه لما حدث ليوسف (عليه السلام) فيوسف ألقى في البئر وهي مياه، وموسى ألقى في اليم وهو مياه أيضاً، ولكن إرادة الله نافذة، ومشيئته لا يعجزها شئ فنجى هذا وذاك.

وبعد أن ألقى موسى (عليه السلام) في البحر، ذهب به الموج بعيدا حتى استقر عند الفرعون, فالتقطه آل فرعون لتربيته، من هنا فقد موسى (عليه السلام) ولم يدر أهله ما حاله، فكان في عداد المفقودين، كل ذلك حدث بعد دخوله النيل وبعد وصوله بين فرعون، فكما فقد يوسف فقد موسى ( ).

---

(1) انظر: تفسير البيضاوي: 172/4.

(2) انظر: تفسير الطبري: 156/18.

قال ابن كثير: قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (~) في كتاب التفسير من سننه[1]، قوله: **{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}** [طه: 40]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا أصبغ بن زيد، حدثنا القاسم بن أبي أيوب، أخبرني سعيد ابن جبير، قال: سألت عبد الله بن عباس عن قول الله (ﷻ) لموسى (عليه السلام): **{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}** فسألته عن الفتون ما هو؟ فقال: استأنف النهار يا بن جبير، فإن لها حديثًا طويلا, فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون، فقال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم (عليه السلام) أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك، ما يشكون فيه, وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب، فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه, ففعلوا ذلك، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر، فيقل أبناؤهم، ودعوا عامًا فلا تقتلوا منهم أحدًا، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار؛ فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم، ولم يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

---

(1) انظر: السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ): 172/10. كتاب: التفسير، باب: قَوْلُهُ (ﷻ): **{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}** [طه: 40] تحت عنوان حديث الفتون، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى 1421هـ – 2001م.

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة, فلما كان من قابل حملت بموسى (عليه السلام) فوقع في قلبها الهَمّ والحزن، وذلك من الفتون – يا بن جبير – ما دخل عليه في بطن أمه، مما يراد به، فأوحى الله – جل ذكره – إليها أن {**لا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**} [القصص: 7] فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم, فلما ولدت فعلت ذلك، فلما توارى عنها ابنُها أتاها الشيطان، فقالت في نفسها: ما فعلت با بني، لو ذبح عندي فواريته وكفنته، كان أحب إليّ من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيتانه.

فانتهى الماء به حتى أوفى به عند قُرْضَة مستقى جواري امرأة فرعون، فلما رأينه أخذنه فهممن أن يفتحن التابوت، فقال بعضهن إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدناه فيه، فحملنه كهيئته لم يخرجن منه شيئًا حتى رفعنه إليها, فلما فتحته رأت فيه غلامًا، فألقى عليه منها محبة لم يلق منها على أحد قط, وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا من ذكر كل شيء، إلا من ذكر موسى[1].

فموسى (عليه السلام) فقدته أمه بعد وصوله إلى بيت فرعون، ولم تدر ما فعل الله به، تماما كما فقد يعقوب ولده يوسف ( ) ولم يعلم أين هو بعد أن ذهب به إخوته, فالرسولان متشابهان في مكان النشأة والإلقاء في الماء والفقد.

وتكملة لما ذكرته في شأن أبي يوسف، وأم موسى، فإنهما لم ييأسا في إيجاد ولدهما، كل في وقته وزمانه، ولكن التشابه مستمر في القصتين الواردتين في السورتين الكريمتين، وكما نعلم أن الأم مصدر الحنان والرحمة, والأب مصدر

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: 284/5.

الشفقة والرأفة, فيعقوب (عليه السلام) أبو يوسف هو الذي طلب البحث والتنقيب عنه، وكذلك أم موسى (عليها السلام) هي من طلبت ذلك من أخته.

ففي قصة يوسف يقول تعالى على لسان نبيه يعقوب: **{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** [يوسف: 87].

قال العلامة ابن كثير[1]: (إن يعقوب (عليه السلام) ندب بنيه على الذهاب في الأرض، يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين, والتحسس يكون في الخير، والتجسس يستعمل في الشر, ونَهّضهم وبشرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون).

وقد ناداهم بنداء الأبوة، طالبا منهم أن يذهبوا في الأرض متعرفين أخبار أخويهم يوسف وأخيه، والذهاب إما في بقاع الأرض باحثين، وإما إلى أرض مصر، والظاهر الثاني؛ لأن شقيق يوسف كان في مصر بلا نزاع، فالمعنى اذهبوا إلى أرض مصر **{فَتَحَسَّسوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ}**، والتحسس التعرف بالحواس الظاهرة والباطنة، أي فتعرفوا الأمور عن يوسف وتتبعوا آثارهما وأخبارهما، ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه، **{إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** فرجاء نبي الله يعقوب في لقاء يوسف لم يذهب أبدا[2].

وكما نجد الثبات والثقل لدى يعقوب (عليه السلام) حيث لم يتخلله اليأس، ولم يجد إلى قلبه سبيلا، فلم يفقد الأمل، وكذلك الصالحون.

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 406/4 بتصرف يسير.

(2) ينظر: زهرة التفاسير: 3853/7.

ونجد ونرى مثل ذلك الأمر من أم موسى (عليه السلام) عندما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين، نجده عندما طلبت من بنتها أن تتبع أثر موسى، لكي تعرف ما فعل الله به، فلم تفقد الأمل، وطلبت البحث والأخذ بالأسباب من بنتها، وكذلك الصالحات الأوابات.

فلما ألقي موسى في نيل مصر، مرّ أمام قصر فرعون، فالتقطه آل فرعون من أجل معرفة ما في التابوت (وآثروا تبنّيه وتربيته، دون أن يدروا بمصيره، وقالت زوجة فرعون له: هذا الطفل قرّة عين لي، أي سلوة لي، تقرّ به عيني، وتفرح به نفسي، فلا تقتلوه، وذلك الإلهام لامرأة فرعون لأن الله تعالى ألقى عليه المحبة، فكان يحبّه كل من شاهده، ولعله يكون سببا للخير والنفع، أو نتخذه ولدا ونتبنّاه، لما يتمتع به من الوسامة والجمال، ولكن لم يشعر قوم فرعون أن هلاكهم بسبب هذا الطفل وعلى يده.

وأصبح قلب أم موسى بعد إلقاء صندوقه في البحر فارغا من كل شيء من شواغل الدنيا، إلا من ذكر موسى، وكادت من شدّة حزنها وأسفها إظهار أمر ابنها وأنه ذهب لها ولد، وأنها أمّه، لولا أن ثبّت الله قلبها وصبّرها، لتكون من المصدّقين الواثقين بوعد الله لها، بردّه إليها.

وقالت أمّ موسى لأخته ابنتها الكبرى: تتبّعي أثره واعرفي خبره، فخرجت لذلك، فعثرت عليه في بيت فرعون، وأبصرته عن بعد، والقوم لا يشعرون بها وبمهمّتها، ولا بأنه الذي يفسد الملك على يديه)[1].

ثم قالت لأخت موسى طمعا منها وطلبا {**قُصِّيهِ**} والقص طلب الأثر، فيروى أن أخته خرجت في سكك المدينة تبحث مختفية بذلك فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يطلبون به امرأة ترضعه حين لم يقبل المراضع[2].

---

(1) التفسير الوسيط للزحيلي: 1903/3.

(2) ينظر: المحرر الوجيز: 279/4.

فالأمل وعدم اليأس دأب الصالحين، والثقة في وعد الله– تعالى– من شيم المؤمنين, والرضا بقضاء الله – تعالى– عادة الأنبياء والمرسلين, وكذلك الصالحات الأوابات.

إن التشابه السابق بين نبيي الله موسي ويوسف ( ) لم يلغ الاختلافات بينهما، حيث إخوة يوسف هم من آذوا أخاهم وألقوه في الجب وعذبوه, بينما ساعدت أخت موسى أخاها وبحثت عنه لإرجاعه.

فهنا نرى اختلافا بينا في القصتين، ونرى حقيقة واضحة أمام الجميع، بل مشاهدة، نرى الإخوة الذكور يكون بينهم– غالبا – الشحناء والحسد والطمع، بينما نجد الأخت تحب وتتودد لأخيها، نجد ذلك واضحا في قصة النبيين الكريمين يوسف وموسى ( ).

فيحكي ربنا – سبحانه – ما عزم عليه إخوة يوسف من مكر، وما نفذوه حقيقة فيقول تعالى: **{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}** [يوسف: 15].

وبعد ما اقترفوا جريمتهم بإلقاء يوسف في غيابة البئر، جاءُوا أباهم ليلا يتصنعون البكاء، وشرحوا له سبب بكائهم قائلين: يا أَبانا ذهبنا في مرتعنا الذي كنا نرتع فيه، ذهبنا نتسابق في العدو والرمي، وتركنا يوسف عند متاعنا وخصائصنا التي نتمتع بها من الثياب والأزواد وغيرهما حيث المكان آمن في ظننا – فأكله الذئب فور تركنا يوسف، وقبل أن يمضي زمن يعتاد فيه التعهد والتفقد، فنحن لم نقصر بعدم وضعه في مكان أمين, ولم نغفل عن مراقبته، بل تركناه في مأمننا، ومجتمع أَمتعتنا التي نحرص عليها، وعلى مرأَى منا، وما فارقناه إلا زمنا يسيرًا، وبيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان[1].

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط: 293/4.

وبينما نجد المكر والتمويه من الإخوة، ونجد الخداع والكذب على الأب الشفوق، ونجد كل عوامل الخسة والندالة في ذلك الوقت، نجد خلاف ذلك مع موسى (عليه السلام) فأخت موسى هي التي كانت مشفقة عليه، وكانت قلقة عليه، وتتبعت أثره، وذهبت لقصر فرعون، وأرشدتهم إلى من يرضعه، ويصور المولى تعالى هذه المواقف الجميلة العظيمة من الأخت البارة فيقول سبحانه: **{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}** [القصص: 11].

فقد كان لموسى (عليه السلام) أخت كبرى تحسن تنفيذ ما تكلف به، وكان اسمها مريم – كما قيل –[1].

والتعبير عنها بأخته دون أن يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالأمر، والظاهر أن هذا القول وقع منها بعد أن أصبح فؤادها فارغاً، فإن كانت لم تعرف مكانه إذ ذاك فظاهر، وإن كانت قد عرفته فتتبع الخبر ليعرف هل قتلوه أم لا، ولينكشف ما هو عليه من الحال **{فَبَصُرَتْ بِهِ}** أي أبصرته والفاء فصيحة أي فقصت أثره فبصرت، و**{عَن جُنُبٍ}** أي عن بعد، وقيل: أي عن شوق إليه، وقيل: أي عن جانب لأنها كانت تمشي على الشط، وقيل: النظر عن جنب أن تنظر إلى الشيء كأنك لا تريده **{وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}** أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته[2].

وهذا يدل على ذكائها وفراستها وحنكتها، ويدل أيضا على أن من الإناث من هم أزكى من الرجال، بالمقارنة على ما فعله إخوة يوسف، وما فعلته أخت موسى ( )، روي أنها لما قالت: **{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}** [القصص: 12] قال هامان: أنها لتعرفه وتعرف أهله، فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون، فانطلقت

(1) ينظر: التفسير الوسيط: 1743/7.

(2) ينظر: تفسير الألوسي: 86/15.

إلى أمها بأمرهم، فجاءت بها والصبيّ على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع، فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي؟ إلا ثديك؟ قالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أوتي بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز الله وعده في الردّ، فعندها ثبت واستقرّ في علمها أن سيكون نبياً. وذلك قوله: **{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}** [القصص: 13] يريد وليثبت علمها ويتمكن[1].

فانظر إلى الأخت الحنونة كيف فعلت مثل هذه الأشياء، وخاطرت بنفسها من أجل أخيها الرضيع، وكيف فكرت ودبرت أمرها وأمره، وكيف استخدمت الحيل والتمويه من أجل حياة أخيها، على عكس إخوة يوسف، فشتان بين هذه وهؤلاء.

وتتممة لما سبق، فقد أثبت القرآن الكريم حالة – حزن وقلق أبي يوسف، وأم موسى في القصتين، فإن يعقوب (عليه السلام) لما فقد بنيامين، وبعد أن رجع إخوة يوسف إليه وأخبروه بما حدث، ولم يصدقهم، ذكرته هذه الحادثة بما مضى من أمر يوسف (عليه السلام) ثم انصرف مع نفسه وحيدا وتولى عنهم **{وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ}** [يوسف: 84] واشتد به الأسف، وكثر بكاؤه، وابيضت عيناه من الحزن الذي في قلبه، فأصبح قلبه ممتلئ هما وغما من الحزن الشديد الذي أصابه.

وقد ذكر الثعلبي معاني متقاربة في معنى بياض العين فقال: **{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ}** فقيل: لم يبصر بهما ستّ سنين **{فَهُوَ كَظِيمٌ}** أي مكظوم مملوء من الحزن، ممسك عليه لا يبثّه، ومنه كظم الغيظ: كَظِيمٌ: حزين، مكبود، كميد، تردّد حزنه في جوفه، ولم يتكلّم بسوء، ولم يتكلّم إلّا خيرا، بلغ به الجزع حتى كان لا يكلّمهم، مهموم، مكروب، وكلّها متقاربة[2].

---

(1) ينظر: الكشاف: 401/3.

(2) ينظر: الكشف والبيان247/5 بتصرف.

وكظيم يمعنى كاظم، كما قال تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} [آل عمران: 134]، ووصف يعقوب بذلك لأنه لم يشك إلى أحد، وإنما كان يكمد في نفسه ويمسك همه في صدره، وكان يكظمه أي يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والفجر.

قيل إن جبريل (عليه السلام) دخل على يوسف (عليه السلام) حينما كان في السجن فقال إن بصر أبيك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على رأسه وقال: ليت أمي لم تلدني[1].

وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب، فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد، ولقد بكى رسول الله (ﷺ) على ولده إبراهيم وقال: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»[2], وإنما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق[3].

وفي سورة القصص كذلك أخبر المولى – تعالى – عن فؤاد أم موسى، حين ذهب ولدها في البحر، إنه أصبح فارغًا، أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى (عليه السلام) وذلك من شدة حزنها على ولدها الرضيع.

قال العلامة أبو السعود: وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله تعالى:

---

(1) ينظر: تفسير الرازي 499/18.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: رحمته (ﷺ) بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك 76/7.

(3) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت 982هـ): 302/4، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

{وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} [إبراهيم: 43] أي خلاء لا عقول فيها، وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه[1].

فاختلف العلماء في تفسير فراغ قلب أم موسى، فمنهم من فسره بخلوه من كل شيء إلاَّ من أمر موسى، ومنهم من فسَّره بالخلو من الصبر, ومنهم من فسره بنسيانها وعد الله برده إليها من اليم، وقال أخرون: فارغا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد عدوه فرعون كما في قوله – تعالى –: {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ}.

قال العلامة الطاهر بن عاشور: وإذ لم يذكر أن فؤاد أم موسى لماذا أصبح فارغاً احتملت الآية معاني ترجع إلى محتملات متعلق الفراغ ما هو.

والربط على القلب: توثيقه عن أن يضعف كما يشد العضو الوهن، أي ربطنا على قلبها بخلق الصبر فيه. وجواب (لولا) هو جملة (إن كادت لتبدي به).

والمراد بالمؤمنين المصدقون بوعد الله، أي لولا أن ذكّرناها ما وعدناها فاطمأن فؤادها. فالإيمان هنا مستعمل في معناه اللغوي دون الشرعي لأنها كانت من المؤمنين من قبل، أو أريد من كاملات المؤمنين.

واللام للتعليل، أي لتُحرز رتبة المؤمنين بأمر الله الذين لا يتطرقهم الشك فيما يأتيهم من الواردات الإلهية[2].

وتتوالى أوجه الشبه بين حالة الوالدين الكريمين وتتعدد مظاهرها، فتحل السكينة على قلبيهما محل الحسرة والألم؛ فقد أوحى المولى تعالى ليعقوب (عليه السلام) أن ابنه يوسف حي وسيلتقي به في المستقبل، وأوحى كذلك لأم موسى أنه سيرد لها ابنها.

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: 5/7، وتفسير البيضاوي: 172/4.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 81/20.

فعند شدة البلاء الذي يبتلي الله به الصالحين، وصبرهم عليه يكون دائما الاطمئنان والسكينة التي يقذفها المولى – تعالى – في قلوب أولئك الصالحين، يكون ذلك بوحي، أو يكون بإلهام منه – سبحانه – وهذا ما حدث لأبي يوسف، وأم موسى.

وقد بدت المشيئة الألهية قوية ههنا؛ حيث بشر الله أم موسي بعودته بالقول: **{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** [القصص: 7]، فيما كان سيدنا يعقوب واثقا من عودة ابنه **{وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [يوسف: 86].

فإنه لما جرى الحديث بين يعقوب (عليه السلام) وبنيه, بعد فقد بنيامين في مصر أعرض عنهم وقال: **{يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}** [يوسف: 84].

بعد ذلك قالوا له ما أخبر به تعالى في قوله: **{قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ}** [يوسف: 85] أي والله لا تزال تذكر يوسف حتى تصبح حرضاً مشرفاً على الموت، أو تكون من الهالكين أي الميتين[1]، أجابهم بما أخبر تعالى به عنه: **{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ}** [يوسف: 86].

وقد أعقب كلامه بقوله: **{وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [يوسف: 86] لينبّههم إلى قصور عقولهم عن إدراك المقاصد العَالية ليعلموا أنهم دون مرتبة أن يعلّموه أو يلوموه، أي أنا أعلم علماً من عند الله علّمنيه لا تعلمونه وهو علم النبوءة.

وقال العلامة أبو السعود: (وأعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فأرجو أن يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي أو أعلم وحيا أو إلهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف.

---

(1) ينظر: أيسر التفاسير: 640/2.

قيل: رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي، وقيل علم من رؤيا يوسف (عليه السلام) أنه سيخر له أبواه وإخوته سجدا)[1].

وما حدث ليعقوب (عليه السلام) من وحي وبشارة؛ حدث كذلك لأم موسى (عليه السلام) حيث أخبرها الله تعالى أن رضيعها لن يمسه سوء, بل سيكون له شأن عظيم.

فإن المولى تعالى لما قال: **{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذين}** [القصص: 5] ابتدأ بذكر أوائل نعمه في هذا الباب بقوله: **{وَأَوْحَيْنَا إلى أُمّ موسى}**، وقوله: **{أَنْ أَرْضِعِيهِ}** كالدلالة على أنها أرضعته وليس في القرآن حد ذلك، **{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ}** أن يفطن به جيرانك ويسمعون صوته عند البكاء **{فَأَلْقِيهِ فِى اليم}** قال ابن جريج: إنه بعد أربعة أشهر صاح فألقى في اليم والمراد باليم ههنا النيل **{وَلاَ تَخَافِى وَلاَ تَحْزَنِى}** والخوف غم يحصل بسبب مكروه يتوقع حصوله في المستقبل، والحزن غم يلحقه بسبب مكروه حصل في الماضي، فكأنه قيل ولا تخافي من هلاكه ولا تحزني بسبب فراقه و **{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ}** لتكوني أنت المرضعة له **{وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** إلى أهل مصر والشام[2].

وقال عامة أهل التأويل: إن الوحي هاهنا وحي الإلهام والقذف في القلب، لا وحي إرسال صارت رسولة، وذلك لا يجوز.

لكن يقال: جائز أن تلهم هي إرضاعه وإلقاءه في اليم، فأمَّا أن تلهم ما ذكر: **{وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** هذا مما لا سبيل إلى معرفة ذلك وعلمه إلا بتصريح قول ومشافهة آخر، اللهم إلا أن يقال: إنه كان بموسى آيات الرسالة وأعلام به؛ لما عرفت هي بتلك الأعلام والآيات التي كانت له أنه يرد إليها، وأنه يبقى رسولا إلى وقت، وقد كانت بالرسل أعلام وآيات الرسالة

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: 302/4.

(2) ينظر: تفسير الرازي: 579/24.

في حال صغرهم وصباهم؛ نحو عيسى حيث كلم قومه في المهد: {**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ...**} [مريم: 30]، إلى آخر ما ذكر, وأن محمدا لما ولد بالليل استنارت تلك الناحية واستضاءت بنوره حتى ظنوا أن الشمس قد طلعت ونحوه؛ فعلى ذلك جائز أن يكون بموسى أعلام وآيات عرفت أمه بها أنه رسول، وأنه يرد إليها[1].

قال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما أفصحكِ! فقالت: أوَ بعد هذه الآية فصاحة وهي قوله تعالى: {**وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**} [القصص: 7] جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين؟![2].

فانظر مدى التشابه في اطمئنان الأبوين على ابنهما من قبل المولى – تعالى – ولا فرق بين أن يكون صاحب الشأن نبيا كما في قصة يوسف، فإن أباه يعقوب نبيا، وبين أن يكون امرأة كما في قصة موسى (عليه السلام) فإن أمه ليست نبيه باتفاق، وهذا من رحمة العليم الخبير الرؤوف الرحيم الذي لا يخلف وعده, وقد وعدهما بلقيا ولدهما.

وكما تشابه فعل الإلقاء وما تلاه من فقدٍ وحزن أصاب الوالدين ثم الطمأنينة التي أسبغها الله عليهما، تشابه كذلك مسرح الأحداث التالية فقد كانت مصر مقرا لأغلب مسيرة حياتيهما ( ) ومدينة مصر هي (منفيس) ويقال: (منف) وهي قاعدة مصر السفلى التي يحكمها قبائل من الكنعانيين عرفوا عند القبط باسم (الهيكسوس) أي الرعاة، وكانت مصر العليا المعروفة اليوم بالصعيد تحت حكم

(1) ينظر: تفسير الماتريدي: 149/8.

(2) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: 375/3.

فراعنة القبط. وكانت مدينتها (ثيبة أو طيبة)، وموضعها يسمّى الأقصر، جمع قصر؛ لأن بها أطلال القصور القديمة، أي الهياكل[1].

ومن مصر يبدأ يوسف (عليه السلام) قصته، وفي معقلها يتربى وينشأ, ويرى ويشاهد أشياء كثيرة، ويمر بامتحان بعد امتحان, واختبار بعد اختبار، ويهيئ له المولى – تعالى – من أمره رشدا, فتبدأ الحكاية من بيت العزيز، وتمكين الله له بتعليمه من تأويل الأحاديث، وإيتائه الحكم والعلم، وشهادة المولى – تعالى – له بأنه من المحسنين.

قال العلامة ابن كثير: لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك، ينظرون ما يصنع وما يُصنع به، فساق الله له سَيَّارة، فنزلوا قريبًا من تلك البئر، وأرسلوا واردهم – وهو الذي يتطلب لهم الماء – فلما جاء تلك البئر، وأدلى دلوه فيها، تشبث يوسف (عليه السلام) فيها، فأخرجه واستبشر به، وقال: **{يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ}**[2].

وفي أرض مصر كذلك تربى موسى (عليه السلام) فقد نشأ في قصر فرعون، فالقصة إذن بدايتها كانت في مصر وتربى موسى, ونشأ وترعرع في قصر فرعون, وكان – بلا شك – في مصر بمقتضى قول الله (عز وجل) عن فرعون: **{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ}**، والمولى – سبحانه – أرسل موسى رسولا؛ لينقذ بني إسرائيل من العذاب المهين, من فرعون اللئيم، وكانوا جميعا يسكنون مصر.

وينتسب فرعون إلى الأسر التي حكمت مصر منذ (3100) قبل الميلاد، وحتى السيطرة الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد، وكلمة "فرعون" قد تعني النبيل أو الشريف أو السامي.

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 245/12.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 377/4 بتصرف يسير.

تميّز فرعون مصر بسيطرة مطلقة وحرية تصرف كاملة في كل ما يتعلق بأمور الدولة، كما كان قائدا أعلى للجيش[1].

فأول هذه القصة قوله تعالى: **{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ}** في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار من أهل العلو فيها، وجعلهم طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره، وسطوته **{يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ}** وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم الله على العالمين[2] أي في زمانهم.

هذا، وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال، ويكُدُّهُم ليلا ونهارًا في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقارا، وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام، يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه.

وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل، حين ورد الديار المصرية، وجرى له مع جبارها ما جرى، حين أخذ سارة ليتخذها جارية، فصانها الله منه، ومنعه منها بقدرته وسلطانه, فبشر إبراهيم (عليه السلام) ولده أنه سيولد من صلبه وذريته مَن يكون هلاك ملك مصر على يديه، فكانت القبط تتحدث بهذا عند فرعون، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، ولن ينفع حذر من قدر؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل

---

(1) ينظر: موسوعة السياسة لعبد الوهاب، الكيالي: 482/4، ط: الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1983م.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ): 611/1، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ - 2000م.

أجل كتاب؛ ولهذا قال: {**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**} [القصص: 5، 6]، وقد فعل تعالى ذلك بهم، كما قال: {**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**} [الأعراف: 137] وقال: {**كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**} [الشعراء: 59]، أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قَدَر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القِدَم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده، وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيه، وحتفك، وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم، العزيز القوي الشديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[1].

وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون، فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن، وإن كذب فما وجه القتل؟[2].

فقوله تعالى: {**فِي الأرض**} أي: أرض مملكته يعني مصر[3], فسيدنا يوسف وموسى ( ) كانت بدايتهما ونشأتهما في مصر, ويدل عليه قوله تعالى على لسان العبد الصالح المؤمن في سورة غافر: {**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ**

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 198/6.

(2) ينظر: الكشاف: 371/3.

(3) ينظر: تفسير النسفي: 627/2.

فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا} [غافر: 34].

هذا، وقد جمع العيش في قصر فخم النبيين الكريمين أيضا، وما استتبعه ذلك من مجاورة الملوك مع فارق بسيط بين الحالتين، فقد كان عزيز مصر هو من دعا زوجته لرعاية يوسف في قصره، فيما كانت زوجة فرعون مصر هي من طلبت منه تربية موسى في قصره.

فبعد أن ألقى إخوة يوسف يوسف في الجب والتقطته السيارة, باعه إخوته لرجل من مصر، فاشتراه رجل يقال له: قطفير، وكان أمين فرعون وخازنه، وكان مؤمناً. وفي اسم المرأة قولان: **أحدهما:** راعيل بنت رعاييل، **والثاني:** أزليخا بنت تمليخا[1]. وقال لامرأته كما أخبر القرآن: **{عَسى أَنْ يَنْفَعَنا}** وفيه قولان: أحدهما: يكفينَا إذا بلغ أمورنا, والثاني: بالربح في ثمنه, وقوله تعالى: **{أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً}** قال ابن عباس: نتبنَّاه, وقال غيره: لم يكن لهما ولد، وكان العزيز لا يأتي النساء[2].

وهذه الأسماء لعزيز مصر وامرأته عليه الجمهور من المفسرين[3].

---

(1) انظر: تفسير الخازن: 519/2.

(2) انظر: زاد المسير: 424/2.

(3) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت 920هـ): 371/1، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط: الأولى 1419هـ 1999م، وإيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت نحو 550هـ): 432/1، المحقق: الدكتور/ حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت, والكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ): 203/5، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة= =وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،

ط: الأولى 1422هـ 2002م، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 453/2، والتَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ): 59/12، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى 1430هـ، والجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: 157/9، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لأبي محمد مكي ابن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ): 3529/5، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د/ الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط: الأولى 1429هـ – 2008م، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 262/4، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت 710هـ): 101/2، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى 1419هـ 1998م، وتفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ): 306/1، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، ودَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر: 125/2، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: 299/4، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (1393هـ = 1973م) – (1414هـ = 1993م)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ): 170/1، تحقيق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1425هـ 2004م، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ): 542/1، تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية –= =دمشق،

ولم يبين الكتاب الكريم اسم الذي اشتراه من مصر ولا منصبه ولا اسم امرأته، لأن ذلك لا يهم فى العبرة من القصة ولا يزيد فى العظة، والظاهر أنه لقب أكبر وزراء الملك، وفى سفر التكوين أنه كان رئيس الشرط وحامية الملك، وناظر السجون[1].

ولأن القرآن كذلك ليس كتاب حوادث وتاريخ, وإنما قصصه حكم ومواعظ وعبر وتهذيب[2].

قال أبو حيان: (ذكروا أقوالاً متعارضة فيمن اشتراه، وفي الثمن الذي اشتراه به، ولا يتوقف تفسير كتاب الله على تلك الأقوال المتعارضة)[3].

أَخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود (ﷺ) قال: "أَفْرَسُ الناسِ ثَلَاثَة: العَزِيزُ حينَ تَفَرَّسَ في يُوسُفَ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: **{أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}** وَبِنْتُ شُعَيْبٍ حينَ قالتْ لأبِيهَا فِى موسى: **{يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}** وأَبو بَكْرٍ حِينَ استَخْلفَ عُمَرَ "[4].

بيروت، ط: الأولى، 1415هـ، وزاد المسير: 424/2، وبحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 373هـ): 186/2.

(1) انظر: تفسير المراغي: 125/12.

(2) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ): 224/12، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م.

(3) ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ): 254/6 وما بعدها، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت 1420هـ.

(4) أخرجه أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ) في: المستدرك على الصحيحين: 376/2، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1411هـ 1990م، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

قال القاضي أبو محمد: وفراسة العزيز إنما كانت في نفس نجابة يوسف لا أنه تفرس الذي كان كما في المثالين الآخرين، فإن ما تفرس خرج بعينه[1].

وقد روي: "أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة, واستوزره الملك الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة[2].

وإرادة الله ورعايته تحوط يوسف (عليه السلام) فكما نجاه الله من القتل والبئر، وعطّف عليه قلب العزيز، مكّن له في أرض مصر، وجعل له فيها مكانة رفيعة، حتى تولى الحكم فيها إداريا وماليا، وعلّمه أيضا كيفية تأويل الأحاديث، أي الرؤيا في النوم، والله سبحانه هو الغلّاب القهّار، لا يعجزه شيء فلا يمنع عما يشاء، ولا ينازع فيما يريد.

وإذا كان يوسف (عليه السلام) قد عاش في قصر ذي شأن عظيم، فإن موسى (عليه السلام) قد عاش وتربى في قصر أعظم منه وهو قصر الفرعون، فذكرنا قبل ذلك أن الله –تعالى– أرسل موسى، وهو من بني إسرائيل، وأنجاه الله من الذبح، حيث ألقته أمه بعد ولادته في البحر داخل صندوق بوحي منه – سبحانه – فوصل إلى قصر فرعون، فاتخذه ولداً عندما أصرت زوجته آسيا على ذلك, وكان محروماً من الإنجاب, فتربى وشب في قصور فرعون, قال تعالى: **{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}** [القصص: 8][3].

---

(1) انظر: تفسير المحرر الوجيز: 230/3.

(2) انظر: تفسير البيضاوي: 159/3.

(3) انظر: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم (عليه السلام) (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417هـ/96 – 97م لأحمد معمور العسيري: 1/ 34 وما بعدها، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، ط: الأولى 1417هـ–1996م.

أما قوله: {**فالتقطه ءالُ فِرْعَوْنَ**} فالالتقاط إصابة الشيء من غير طلب، وقوله: {**لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً**} فالمشهور أن هذه اللام يراد بها العاقبة، قالوا وإلا نقض قوله: {**وَقَالَتِ امرأت فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لّى وَلَكَ**} ونقض قوله: {**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مّنّى**} [طه: 39] ونظير هذه اللام قوله تعالى: {**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ**} [الأعراف: 179][1].

وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوال: أحدها: جواري امرأة فرعون، **والثاني:** ابنة فرعون، **والثالث:** أعوان فرعون، قال المفسرون: كان فرعون لا يولد له إلا البنات، فقالت {**عَسى أَنْ يَنْفَعَنا**} فنُصيب منه خيراً {**أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً**}[2].

فهذه الجملة {**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً**} تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه[3].

وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الأنبياء, وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم، فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة، وأنت أمرت أن تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي.

وقيل: إنها قالت إنه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه، قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه[4].

وهكذا وجدنا أن كلا النبيين تربى وترعرع في قصر عظيم، فهو من التشابه الذي جمع بينهما ( ) هذا في قصر العزير، وذاك في قصر الفرعون، مع أن

---

(1) انظر: الكشاف: 395/3.

(2) انظر: زاد المسير في علم التفسير: 375/3.

(3) انظر: تفسير البيضاوي: 172/4.

(4) انظر: تفسير الخازن: 356/3 وما بعدها.

بدايتهما كانت مؤلمه وهو الإلقاء في الماء، وما تلاه من الفقد، وعدم الاهتداء إلى مكانهما، ولكن عين الله ترعاهما وتحرسهما.

ومع ذلك ثمة بعض الاختلاف، فالعزيز هو الذي اشترى يوسف (عليه السلام) وطلب من امرأته أن تربيه في بيته، أما موسى (عليه السلام) فامرأة صاحب القصر فرعون هي من طلبت أن تربيه، فالقضية واحدة، قضية السكن والمأوى والمكان، والاختلاف في الطلب كان مِنْ مَن؟

فالذي اشترى يوسف (عليه السلام) – كان رجلا من مصر هو العزيز الذي كان على خزائن مصر، وكان وزيراً لملك مصر, (وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي، وقد آمن بيوسف (عليه السلام) ومات في حياته, وقيل كان فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالى: **{وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ}**، قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وذلك أن ظهور يوسف (عليه السلام) لم يكن في مدة كافر)[1].

والمشهور أنه من أولاد فرعون, والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء[2].

قال المحققون: أمر العزيز امرأته بإكرام مثواهُ دون إكرام نفسه، يدلُّ على أنه

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ): 230/3، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1422هـ.

(2) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ): 159/3، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى 1418هـ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 453/2، وتفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود: 262/4, والسراج المنير: 99/2.

كان ينظرُ إليه على سبيل الإجلال، والتعظيم[1].

وهذه الجملة أعني {**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**} عطف على محذوف، أي: دخلوا مصر وعرضوه للبيع فاشتراه عزيز مصر الذي كان على خزائن مصر[2].

فالرجل الذي اشتراه من مصر، قد ضمّه إليه، واتخذه ابنا له، إذ لم يكن له ولد، ودعا امرأته إلى أن تكرمه، وتتولى تربيته، وتنشئته، على أنه ابنها.

وهكذا يجد يوسف فى مصر أهلا بدل أهله، وأبا وأمّا مكان أبيه وأمه, وهكذا صنع الله ليوسف, وليس هذا فحسب، فإنه سيصنع له أكثر وأكثر, فسيمكن الله له فى الأرض، ويعلمه من تأويل الأحاديث، كما قال له أبوه من قبل[3].

والله غالب على أمره، ومنفذ ما أراده لا راد لقضائه، فكل ما وقع ليوسف من إلقائه في الجب ومن استرقاقه وبيعه وتوصية سيده لامرأته بخصوصه وتعليمه الرؤيا وغير ذلك خطوات لإعداد يوسف للمحل الذي ينتظره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك[4].

---

(1) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ): 52/11، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط: الأولى 1419هـ – 1998م.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت 1403هـ): 468/4، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط: الرابعة 1415هـ.

(3) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد 1390هـ): 1249/6، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

(4) ينظر: التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: 167/2، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، ط: العاشرة 1413هـ.

وأما آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، هي من طلبت من زوجها فرعون أن يتربى عندها، وقد كانت من بني إسرائيل تزوّجها فرعون، وكانت لا تلد، وسميت آسية كما في الحديث المروي عن النبي (ﷺ): (كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْن)[1] ويفيد قولها ذلك أن فرعون حين رآه استحسنه, ثم أدركه الخوف من عاقبة أمره؛ فلذلك قالت له امرأته: **{قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ}** قال العلامة ابن كثير: وقوله تعالى: **{وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}** يعني: أن فرعون لما رآه همَّ بقتله خوفًا من أن يكون من بني إسرائيل فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تُحَاجُّ عنه وتَذب دونه، وتحببه إلى فرعون، فقالت: **{قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ}** فقال: أما لك فَنَعَم، وأما لي فلا, فكان كذلك، وهداها الله به، وأهلكه الله على يديه[2].

أو قالت امرأة فرعون ذلك؛ لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه، أو لأنه كانت له ابنة برصاء وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان فلطخت برصها بريقه فبرئت[3].

وقالت آسية: سميته موشا لأنّا وجدناه في الماء والشجر، ف (مو) هو الماء، و (شا): هو الشجر[4].

وهذا لطف من الله بموسى؛ حيث ألقى محبته في قلوبهم وحلاوته في أعينهم، وهو ما ذكر منة عليه حيث قال: **(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)**، ليتأدى بذلك الشكر عليه[5].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأطعمة، باب: الثريد: 2067/5.

(2) تفسير القرآن العظيم: 222/6.

(3) تفسير البيضاوي: 172/4.

(4) تفسير الثعلبي: 236/7.

(5) تأويلات أهل السنة: 150/8.

وقالت هذا حين همَّ فرعون بقتله لما نتف موسى لحيته وهو رضيع تعلق به فأخذ شعرات من لحيته فتشاءم فرعون وأمر بقتله فاعتذرت آسية له فقالت هو **{قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ}** فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا[1].

فسبحان الله!! أهذا موسى الذي ألقى في اليم! لا غرابة، فالله حارسه وهاديه، وحافظه وراعيه، ويخلق له من الأسباب ما يحير العقول والألباب، فكما حفظ يوسف بسبب صاحب القصر، حفظ موسى بسبب صاحبة القصر.

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: 217/6.

المبحث الثاني
يوسف وموسى ( ) ورحلة الابتلاء والاختبار

في المبحث السابق تناولنا أوجه التشابه الجلية بين كلا النبيين ( ) في مرحلة النشاة والطفولة وبداية حياة القصور وفي هذا المبحث سنحاول أن نقف على بعض الوقائع التي حدثت في مصر والتي مثلت ابتلاء واختبارا وفتنة بعد هبة الله تعالى لهما العلم والحكم والرشد والنبوة وأثر الأحداث على معاصريهم.

ففي حديث القرآن الكريم عن فترة الابتلاء والاختبار والتي مثلت فترة الفتوة والشباب والرشد يمكن للمتأمل أن يرصد تشابها في العبارات التي وصفت هذه الفترة.

فالقرآن الكريم خلد هذا التشابه؛ حينما تطرق لبلوغهما سن الرشد، حيث تحدثت سورة يوسف عن يوسف: **{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا}** [يوسف: 22]، فيما تكرر الأمر مع سيدنا موسى في سورة القصص: **{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا}** [القصص: 14]، حيث نلاحظ التطابق في الآيتين فيما عدا زيادة كلمة واستوى في قصة سيدنا موسى في سورة القصص.

ومعنى قوله تعالى في شأن يوسف: **{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ}** يعني تمت قوة نفسه وعقله **{آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا}** يقول أكرمناه بالنبوة والعلم والفهم والفقه فجعلناه حكيما وعليما **{وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}** [يوسف: 22] يعني هكذا نكافيء من أحسن ويقال هكذا نجزي المخلصين في العمل بالفهم والعلم[1].

---

(1) ينظر: بحر العلوم: 187/2.

قال العلامة الرازي[1]: قال الحسن: إنه كان نبياً من الوقت الذي قال الله تعالى في حقه: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا}** [يوسف: 15] وما كان رسولاً، ثم إنه صار رسولاً من هذا الوقت أعني قوله: **{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ اتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا}** [يوسف: 22] ومنهم من قال: إنه كان رسولاً من الوقت الذي ألقى في غيابة الجب.

وقد اختُلِف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده، فقيل: ثلاث وثلاثون, وعن ابن عباس: بضع وثلاثون, وقيل: عشرون, وقيل: أربعون سنة, وقيل: خمس وعشرون سنة, وقيل: ثلاثون سنة, وقيل: ثمانية عشرة سنة, وقيل: الأشد الحلم, وقيل غير ذلك[2].

وقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}** تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً في عنفوان أمره، وأنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه، وعن الحسن: من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله[3].

وعندما ذكر المولى – تعالى – أمر موسى (عليه السلام) ذكر أنه لما بلغ أشده وكملت رجولته، وتم نضجه، أعطاه الله الحكمة والحلم والعلم والمعرفة، ومثل ذلك الجزاء يجازي به الله من سار على النهج القويم، فقال تعالى: **{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}** [القصص: 14].

واختلف في زمان بلوغ الأشُّد والاستواء، فقيل الأشد ثلاثا وثلاثون سنة، وأما الاستواء فأربعون سنة، والعمر الذي أعذر الله تعالى ابن آدم فيه إلى ستين سنة

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب: 436/18.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 377/4, وفتح القدير: 26/4, وروح المعاني: 472/8, ومعالم التنزيل: 226/4.

(3) ينظر: الكشاف: 429/2.

يعني قوله: {**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**} [فاطر: 37]، وقيل الأشد ما بين الثماني عشرة إلى الثلاثين، والاستواء ما بين الثلاثين إلى الأربعين, فإذا زاد على الأربعين أخذ في النقصان[1].

ومن هنا قد ندرك السبب في زيادة لفظ (الاستواء) عند سيدنا موسى: وهو أن موسى أُوحي إليه في سِنِّ الأربعين من عمره، وهي سِنٌّ كمال القوة، وأما يوسف فأُوحي إليه قبل ذلك، كما ذكرت آنفا؛ ولذلك لما زاد موسى بالسن والقوة زيد في وصفه بقوله: "واستوى"، وقيل في سبب الزيادة بوصف الاستواء: أن موسى ورد في الأحاديث وصفه بكمال القوة البدنية، وطول القامة- كما ذكرت في الحديث الصحيح عن الكلام عن وصفه؛ فلهذا زيد وصفه بالاستواء، والله أعلم.

قال الآلوسي: وفي قوله تعالى: {**حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً**} [الأحقاف: 15] ما يستأنس به لذلك[2].

فانظر إلى التقارب العجيب بين النبين الكريمين حتى في الألفاظ، فقد أعطاهما الله – تعالى – العلم والحكمة عند البلوغ والتكليف؛ لما يلحقهما من أعباء الرسالة الثقيلة، وما يتبعه من محن واختبارات وامتحانات، قد اجتازوها في نهاية المطاف، وصدق الله إذ يقول {**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ**} [الأنعام: 142].

---

(1) ينظر: بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي: 601/2، تحقيق: د/ محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، ومعالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ): 195/6، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة 1417هـ 1997م، والكشاف: 402/3، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هـ): 301/5، ط: عالم الكتب.

(2) ينظر: روح المعاني: 89/15.

فكلا النبيين صادف مشكله عويصه حينما بلغا اشدهما، فسيدنا يوسف تعرض لمحنة مراودة امرأة العزيز له حتى انتهى به الأمر مسجونا، وسيدنا موسى تعرض لمحنة قتل المصري فخرج هاربا خائفا.

فبالنسبة ليوسف جاء بعد آية التمكين السابقة مباشرة قوله تعالى: **{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ}** [يوسف: 23] ليتعرض يوسف فيها إلى فتنة امرأة العزيز، ومنها إلى فتنة دخوله السجن بضع سنين.

ويصور القرآن الكريم تلك المراودة الخبيثة من امرأة العزيز فيقول سبحانه: **{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ * قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ * وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ}** [يوسف: 23: 29].

والهم بالشيء في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يواقع, فأما همّ زليخا، فقال المفسرون: دعته إلى نفسها واستلقت له, واختلفوا في همِّه بها على خمسة أقوال أحدها: أنه كان من جنس همّها، ولولا أن الله تعالى عصمه لفعل، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، وقال ابن قتيبة: لا يجوز في اللغة: هممت بفلان، وهمّ بي، وأنت تريد اختلاف الهمَّين.

واحتجَ منْ نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلماء الأكابر، ويدل عليه ما سنذكره من أمر البرهان الذي رآه, قالوا: ورجوعه عما همّ به من ذلك خوفاً من الله تعالى يمحو عنه سيّئ الهمّ، ويوجب له علوَّ المنازل.

ويدل على هذا الحديث الصّحيح عن رسول الله (ﷺ): «أن ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة، فقالوا: ليذكر كل واحد منكم أفضل عمله. فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فراودتها عن نفسها فأبت إلّا بمائة دينار، فلمّا أتيت بها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة أُرعدتْ وقالت: إن هذا لعملٌ ما عملته قطُّ، فقمت عنها وأعطيتها المائة الدينار، فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرِج عنا، فزال ثلث الحجر»[1].

وقد قال (عليه السلام): «عفي لأمّتي عمّا حدّثت به أنفسها ما لم تتكلّم أو تعمل»[2], ويؤيده الحديث الصّحيح عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: « يقول الله تعالى: **إذا همّ عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها عليه سيئة**»[3].

فإن قيل: فقد سوّى القرآن بين الهمين، فلم فرقتم؟

فالجواب: أن الاستواء وقع في بداية الهمة، ثم ترقت همتها إلى العزيمة، بدليل مراودتها واستلقائها بين يديه، ولم تتعد همته مقامها، بل نزلت عن رتبتها، وانحل معقودها, بدليل هربه منها، وقوله: **{قالَ مَعاذَ}** ولا يصح ما يروى عن المفسرين

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب: من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال غيره فاستفضل: 793/2.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما والغلظ والنسيان في الطلاق والشرك وغيره: 2020/5.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب: 82/1.

أنه حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا، دل على العزم، والأنبياء معصومون من العزم على الزنا.

والقول الثاني: أنها همت به أن يفترشها، وهمّ بها، أي: تمنَّاها أن تكون له زوجة.

والقول الثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها فلما رأى البرهان، لم يقع منه الهم، فقُدِّم جواب «لولا» عليها، كما يقال: قد كنتَ من الهالكين، لولا أن فلاناً خلَّصك لكنت من الهالكين.

والقول الرابع: أنه همّ أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمنعته فضربني, والقول الخامس: أنه همّ بالفرار منها[1].

وقال الإمام أبو حيان في «البحر المحيط» ما ملخصه: طوّل المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق[2].

والخلاصة: أن امرأة العزيز راودت يوسف (عليه السلام) عن نفسه, وأرادت أن يواقعها ويفعل الفحشاء معها, وغلقت الأبواب، وكانت سبعه كما ذكر بعض العلماء[3], فكانت مصدر قلق له (عليه السلام) أوقاتا عديدة، وسنوات مديدة، ولكنه أبى واستعصم، ولكنه مع كثرة إغرائها مال بطبيعته البشرية لارتكاب ذلك, فعصمه المولى تعالى، وصرف عنه ذلك الأمر العظيم؛ لأنه من عباد الله المخلصين, والنفس الصبور يصقلها الله تعالى بالشدة.

---

(1) زاد المسير في علم التفسير: 430/2.

(2) ينظر: تفسير البحر المحيط: 5/ 294.

(3) ينظر: تفسير الثعلبي: 208/5, وتفسير البيضاوي: 160/3.

أما ما قاله أهل التأويل إنها استلقت له وحل سراويله، وأمثال هذا من الخرافات؛ فهذا كله مما لا يحل أن يقال فيه شيء من ذلك, ولم يحدث منه شيء.

واستبقا بعد ذلك إلى الباب هو يفر هاربا، وهي تمنعه وتجذبه إليها، وفي هذه المسابقة قَدَّت قميصه من ورائه، لأنها تجري وراءه لتشده إليها مانعة له من الخروج, ولكنهما وجدا سيدها لدى الباب، وببداهة المرأة التي تفجر ألقت التهمة على يوسف، و{**قَالَتْ مَا جَزَاء مَن أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}.

فبرَّأ يوسف نفسه عن التهمة، وقال الصدق: {**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**} اتهمته كاذبة، واتهمها صادقا، فلم يندفِع العزِيز، واحتكم، فحكم حكم من أهلها: {**إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ**} فألفيا قميصه قُدَّ من دبر، وبذلك تبين كذبها، وصدقه.

اطمأن زوجها إلى براءة يوسف، وقال: {**إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**}.

وإن أخبار القصور تشيع وتنتشر، وقد كانت قصة المراودة بين زوج العزيز، ويوسف، وزوجها وبعض ذوي قرباها، ولا ندري كم كان عددهم، والخبر إذا خرج عن اثنين شاع، والناس دائما في شوق إلى ما يجري داخل القصور، وينشر دائما ما فيه غرابة[1].

ثم كان من أمر العزيز أن أمر بسجن يوسف (عليه السلام) منعا للقيل والقال، وحسما لأمره وفضيحة أهل بيته، فانتهى بيوسف الحال إلى السجن فلبث فيه بضع سنين، وكل ذلك كان فتنة له.

وبالنسبة لموسي جاء بعد إيتائه العلم والحكم مباشرة قوله تعالى: {**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا**} [القصص: 15] فتعرض موسي إلى فتنة قتل

---

(1) ينظر: زهرة التفاسير: 3785/7.

القبطي وما حدث بعدها من تهديده بالقتل من قبل الملأ من قوم فرعون, فنصحه أحدهم بأن يخرج من البلاد فخرج على أثرها إلى أرض مدين؛ وسيدنا موسى كانا نموذجا للعفة والطهارة؛ وذلك بالمحافظة على المرأتين اللتين سقى لهما؛ ليمكث فيها أيضا بضع سنين ثماني أو عشر سنوات، وهذه المرحلة أطلقت عليها سورة طه مرحلة الفتنة قال تعالى: **{وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى}** [القصص: 40].

والمعنى: ودخل مصر آتيا من عين شمس فى وقت ليس من المعتاد الدخول فيه وهو وقت القائلة، فوجد في مصر رجلين أحدهما من بنى إسرائيل وثانيهما من القبط وهو طباخ فرعون، وكان قد طلب منه أن يحمل حطبا للمطبخ فأبى، فطلب الإسرائيلي من موسى غوثه ونصره على عدوه القبطي، فضربه موسى بجمع يده في صدره فقتله، فقال: إن هذا الذي حدث من القتل هو من تزيين الشيطان ووسوسته.

ثم أخبر عن حال الشيطان ليحذر منه فقال: **{إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ}**، ثم أخبر بندم موسى على قتله نفسا لم يؤمر بقتلها بقوله: **{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي}** أي قال رب إني ظلمت نفسى بقتل نفس لا يحل قتلها، فاغفر لى ذنبى واستره ولا تؤاخذني بما فعلت، قال قتادة: عرف والله المخرج فاستغفر[1].

ثم أصبح موسى في مصر بعد قتله القبطي فزعا يتوقع أن يصيبه الأذى من القوم بسبب قتله المصري، وقيل: خائفا وقوع المكروه من فرعون، يترقب نصرة الله عليه, فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي نصره بالأمس وساعده، وقتل القبطي بسببه يستغيث به مرة ثانية على مصري آخر, فنهره موسى وزجره قائلًا له: إنك لظاهر

(1) ينظر: تفسير المراغي: 43/20.

الغواية كثير الشر؛ لأنك تسببت في قتل رجل، وتقاتل آخر، ودعوتني مرة ثانية لنصرتك ومساعدتك.

فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدوٌّ لهما توهم الإسرائيلي المستصرخ لضعفه وذلته أن موسى يريد البطش به، فقال له – يريد أن يدفع عن نفسه –: **{أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ}** الآية – ولم يكن أحد يعلم بقتل موسى للقبطي أمس سوى هذا الإسرائيلي؛ لأن ذلك كان والناس في غفلة، فلما سمع القبطي ذلك تلقفه من فمه, ثم ذهب به إلى بيت فرعون، فألقاها عنده، فاشتد حنقه، وعزم على قتل موسى[1].

ثم خرج موسى (عليه السلام) من تلك المدينة قاصدا مدين، آخذا بنصيحة المؤمن من آل فرعون عندما أخبره أن الملأ يريدون قتله، فخرج منها خائفا قلقا, وهذا من أكبر الفتن.

فانظر إلى مدى تشابه الفتن الذي لحق كلا من النبيين الكريمين؛ لكي تقوى عزائمهما ويكونان في حالة متأهبة لما يستقبلهما من أمور عظام وخطوب جسام، تمثلت في وقائع وأحداث طالت أقوامهما ( ) مع بعض التشابه وبعض الاختلاف.

ففي قصة يوسف البلاء وقع في المستقبل وبعد الاذعان له, وإيمان قومه به، وتمكينه في الأرض، وذلك على ما جاء في قصة رؤيا الملك، وتأويلها من قبل يوسف عن طريق الرجل الخارج من السجن الذي كان مع يوسف، وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسِّر لنا رؤيا مَن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات; لعلي

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 1751/7.

أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم; ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك.

وفي ذلك يقول الله تعالى: **{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ}** [يوسف: 45، 46]، ثم وضعه في المكان المناسب له من الأرض، وجعله على خزائن مصر: **{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}** [يوسف: 55] (طلب أن يوليه النظر فيما يتعلق بالأهراء[1] لما يتوقع من حصول الخلل فيما بعد مضي سبع سني الخصب لينظر فيها بما يرضي الله في خلقه من الاحتياط لهم والرفق بهم)[2].

ثم أخبر تعالى عن قدوم إخوة يوسف عليه إلى الديار المصرية – كما جاء في السورة الكريمة – يمتارون طعاما، وذلك بعد إتيان سني الجدب وعمومها على سائر البلاد والعباد، قال تعالى: **{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ}** [يوسف: 58]، فالجدب والقحط والبلاء والاختبار أتى في هذه اللحظة وذلك التوقيت, وكان يوسف (عليه السلام) إذ ذاك الحاكم في أمور الديار المصرية دينا ودنيا.

والله – سبحانه – أعطى التوراة لموسى (عليه السلام) بعد هلاك فرعون وقومه, لا قبله، فسلط الله – تعالى – علي قوم فرعون البلاء قبل الإيمان بما جاءهم به من الحق لكي يؤمنوا، فما آمنوا, وفي ذلك يقول تعالى: **{فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا**

---

(1) الهروء والهرو والهري بيت ضخم واسع يجمع فيه طعام السلطان، والجميع الأهراء. ينظر: تهذيب اللغة: 212/6، أَبْوَاب: الهَاء وَالرَّاء (هري).

(2) ينظر: البداية والنهاية: 238/1.

بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً وَمَا سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ} [القصص: 36].

قال العلامة أبو السعود: **{فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا بَيِّناتٍ}** أي واضحات الدلالة على صحَّةِ رسالةِ مُوسى (عليه السلام) منه تعالى، والمرادُ بها العَصَا واليدُ إذ هُما اللتانِ أظهرَهُما مُوسى (عليه السلام) إذْ ذاكَ، **{قَالُواْ مَا هَذا إِلاَّ سحرٌ مُّفْتَرًى}** أي سحرٌ مختلقٌ لم يُفعل قبلَ هذا مثلُه أو سحرٌ تعمله ثم تفتريهِ على الله تعالى أو سحرٌ موصوفٌ بالافتراءِ كسائرِ أصنافِ السِّحرِ **{وَمَا سَمِعْنَا بهذا}** أي السِّحرِ أو ادعاءِ النُّبوةِ **{فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ}** أي واقعاً في أيَّامِهم[1].

هذه الآيات البينات متنوعة فكما تشمل اليد والعصا تشمل كذلك الطوفان والجراد والقمل وغيرها كما قال تعالى: **{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ}** [الأعراف: 133].

قال العلامة ابن كثير في تفسير البينات الواردة في سورة البقرة **{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ}** [البقرة: 92] أي: بالآيات الواضحات والدلائل القاطعة على أنه رسول الله، وأنه لا إله إلا الله، والبينات هي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، وفَلْق البحر، وتظليلهم بالغمام، والمن والسلوى، والحجر، وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها[2].

(1) ينظر: تفسير أبي السعود13/7

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم219/1.

المبحث الثالث

يوسف وموسى ( ) والنهاية السعيدة

مع العسر دائما اليسر، ومع الألم دائما يكون الأمل، ومع الإيمان يكون دائما الإيقان بوعد المنان، ويجيء الفرج، وتأتي البشارة وهذا ما كان من أمر النبيين العظيمين ( ) حيث سبق التمكين والنهاية السعيدة أحداث وصراعات مختلفة الأشكال والاتجاهات حسب ظروف كل نبي.

فقد امتدت الاختلافات – مع اتفاق مسرح الأحداث – بين النبيين لتعامل أصحاب القصر مع كليهما، ففي حالة موسي تصادم طويلا معهم ووصل الأمر للمطاردة: **{قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}** فيما لعبت حاشية عزيز مصر دورا في وصول يوسف لأعلي المراتب **{قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}** [يوسف: 54].

فأصحاب قصر العزيز في نهاية الأمر تصالحوا مع يوسف وقربوه، وذلك بعد ما ثبت للملك براءة يوسف بما نسبته امرأة العزيز إليه، وأدرك أنه آثر السجن بما فيه من آلام على ما دعته إليه امرأة العزيز، وغيرها من بني جلدتها، وثبت ذلك، (بطلبه التحقيق مع أولئك النسوة قبل خروجه من السجن ليتلقاه الملك نظيفًا محكومًا ببراءَته، بدلا من أَن يقابله قبل ذلك متهمًا عما عنه الملك؛ لأَنه أَوَّل رؤياه, لا لأَنه بريءٌ – ولمَّا ثبت للملك كل ذلك – قال الملك لرجاله: أَحضروا إليَّ يوسف أَتخذه خالصًا لنفسى في تدبير أمور مملكتى، وليكون صاحب مكانة خاصة عندي.

وإذا نظرت إلى أسلوب الملك في طلب إحظار يوسف إليه فإنك تراه أَولًا بعد أن علم بتأويله رؤياه قال: **{ائْتُونِي بِهِ}** ولم يزد على ذلك، فلما ظهر إباؤه

ووضحت أمانته وعفته في قصة امرأة العزيز، عظمت منزلته عنده، فطلبه ليكون ذا مكانة ممتازة لديه خاصة به، بحيث لا يكون لأحد سلطان عليه سواه، وذلك بقوله: {**ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي**}, وهكذا يرفع الله درجات أهل العلم والأمانة والعفة[1].

والأظهر أن هذا الملك هو الريان لا العزيز؛ لأن قوله: {**أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي**} يدل على أنه قبل ذلك ما كان خالصا له، وقد كان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز.

وقوله تعالى: {**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ**} الآية، فهم يوسف (عليه السلام) من الملك أنه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره في الملك، فألقى يده في الفصل الذي تمكنه فيه المعدلة، ويترتب له الإحسان إلى من يجب، ووضع الحق على أهله، وعند أهله[2].

قال ابن إسحاق: قال ابن زيد: وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله إليه, وجعل أمره وقضاءه نافذاً في مملكته، ثم مات قطفير بعد ذلك فزوّجه الملك امرأته، فأقام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء، وأسلم على يديه الملك، وكثير من الناس، فقال الناس: ما رأينا كاليوم ملكاً أجل ولا أعظم من هذا صار كل الخلق عبيداً له، هذا ملخص ما قاله البغوي[3] والزمخشري[4] وغيرهما.

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط: 346/5.
(2) ينظر: المحرر الوجيز: 255/3.
(3) ينظر: تفسير البغوي: 253/4.
(4) ينظر: الكشاف: 483/2.

قال الرازي[1]: وروي أنّ يوسف (عليه السلام) كان لا يشبع من طعام في تلك الأيام، فقيل له: تجوع وبيدك خزائن الأرض؟ فقال: إن شبعت نسيت الجائع, ثم قال الله تعالى: {**نُصِيبُ**}، أي: نخص {**بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ**} في الدنيا والآخرة {**وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**} بل نؤتيهم أجورهم عاجلاً؛ وآجلاً لأنّ إضاعة الأجر إما أن تكون للعجز أو للجهل أو للبخل، والكل ممتنع في حق الله تعالى فالإضاعة ممتنعة[2].

قال الشوكاني[3]: وأخرج ابن جرير[4] وابن أبي حاتم[5] عن ابن زيد في قوله: {**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ**} قال: ملكناه فيها يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا يصنع فيها ما يشاء.

فخرج يوسف (عليه السلام) من السجن إلى الجاه العريض، والعز المنيف، والتمكين في أرض مصر، بعد مرور فصول من الابتلاء عليه؛ حيث صار على خزائن مصر، فجاءت الحاجة بأهله من الشام حتى اجتمعوا إليه في مصر، وخرُّوا له سُجَّدًا، وبذلك تحقَّقَتْ رؤياه، قال تعالى: {**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**

---

(1) ينظر: تفسير الرازي: 475/18.

(2) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد ابن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت 977هـ): 116/2، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة 1285هـ.

(3) ينظر: فتح القدير: 43/3.

(4) ينظر: جامع البيان: 152/16.

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ)): 2161/7، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة 1419هـ.

وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: 99، 100].

ورُوي أن يعقوب (عليه السلام) أقام معه أربعاً وعشرين سنة, ثم مات وأوصى أن يدفِنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمةَ ثم عاد إلى مصرَ، وعاش يوسف بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، فلما تم أمرُه وعلِم أنه لا يدوم له تاقت نفسُه إلى المُلك الدائم الخالد فتمنى الموت[1] فقال: **{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}** [يوسف: 101].

وأما أصحاب القصر الذي تربى فيه موسى (عليه السلام) فالشأن مختلف تماما عما حدث ليوسف (عليه السلام) فأصحاب قصر فرعون في نهاية المطاف طاردوه وآذوه، كل ذلك حدث بعد ظهور الأدلة القاطعة على صدقه وأنه رسول رب العالمين، فقد مكث (عليه السلام) في مصر يدعوهم إلى الإسلام، وإلى عبادة الله الواحد الديان (ويسعى في تخليص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله من الآيات والعبر، ما قصه الله علينا في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدرون أن يظهروا إيمانهم ويعلنوه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهرا، ويقيموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى أن سر أو سيروا أول الليل، ليتمادوا في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه، فجاء فرعون وجنوده، فسلكوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيهم من اليم ما غشيهم، وغرقوا كلهم،

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: 307/4.

ولم ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل ينظرون إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم بهلاكه، وهذا عاقبة الكفر والضلال، وعدم الاهتداء بهدي الله[1].

هذا التفصيل الواضح لنهاية فرعون وقومه، ذكره الله تعالى بشئ من الإجمال في هذه السورة الكريمة – سورة القصص – في قوله سبحانه: **{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}** [القصص: 36 – 42].

قال العلامة ابن كثير: أخبر تعالى عن مجيء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملئه، وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالات القاهرة، على صدقهما فيما أخبر عن الله (ﷻ) من توحيده واتباع أوامره, فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه، وأيقنوا أنه من الله، عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهتة، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق، فقالوا: **{مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى}** أي: مفتعل مصنوع، وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه، فما صعد معهم ذلك[2].

وقوله تعالى: **{وَما سَمِعْنا بِهذا}** أي السحر أو ادعاء النبوة، أو بأن للعالم إلها يرسل الرسل بالآيات **{فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ}** أي كائنا في أيامهم، وهذا إما تعمد

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 510/1.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 237/6.

للكذب وعناد بإنكار النبوات، وإن كان عهد يوسف قريبا منهم, أو لأنهم لم يؤمنوا به أيضا[1].

ثم قال موسى: ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم، حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى، ووعده حسن العقبى: يعنى نفسه، ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك، لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين، ولا ينئى الساحرين، ولا يفلح عنده الظالمون[2].

ثم ذكر (ﷻ) السبب في تكذيبهم وهلاكهم قائلا: **{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ}** استكبر فرعون في الأرض، وطغى وتجبر، وعلا علوّا كبيرا هو وجنوده، كان من أثره ركوب ذلك الشطط، وفعل تلك الخبائث، وكان مبعث ذلك كله أنهم ظنوا بل تيقنوا أنهم إلى الله لا يرجعون.

وانظر إلى الحق (ﷻ)، وهو يسجل عليهم نهايتهم بعبارة فخمة ضخمة **{فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ}** نعم كانوا في قبضة الله الذي يقول للشيء كن فيكون كحصيات يجمعها الشخص في الطريق ثم يلقيها في البحر، فانظر أيها الناظر إلى الدنيا بعقلك، المتفكر فيها بقلبك كيف كان عاقبة الظالمين؟!![3].

ثم قال تعالى: **{وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً}** يعني قادة ورؤساء **{يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ}** أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لأن من أطاعهم ضل ودخل النار **{وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ}** يعني لا يمنعون من العذاب **{وَأَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً}**

---

(1) ينظر: محاسن التأويل: 523/7.

(2) ينظر: الكشاف: 415/3.

(3) ينظر: التفسير الواضح: 832/2.

يعني خزيا وبعدا وعذابا {**وَيَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ**} يعني المبعدين وقيل المهلكين, وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون[1].

فكانت العاقبة لموسى ومن معه من المؤمنين من بني إسرائيل, كذلك شأن الرسل الكرام، فكما كان التشابه في البداية والإلقاء في الماء، والاستقرار في القصر العظيم، والنجاة من السجن، أو القتل، كانت النهاية سعيدة، والفلاح ملازم للنبيين الكريمين {**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ**} [الصَّافات: 171 – 173].

(1) ينظر: تفسير الخازن: 365/3.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

وبعد العرض المقتبس من شذرات نور القرآن الكريم في سورتي (يوسف والقصص) متلمساً ما حوته السورتان من قصة نبيين كريمين، هما يوسف وموسى ( )، ومدى التشابه العجيب الذي جمع بينهما، والاختلاف اليسير الذي بينهما؛ أتوقف عند بعض النتائج المستخلصة، والتي يمكن إجمالها في الآتي:

1- التشابه الكبير في قصة الرسولين الكريمين يوسف وموسى ( ) منذ البداية والنشأة والمكان, وفي المتاعب والآلام التي واجهوها, والامتحانات التي امتحنوا بها، وفي كذلك العاقبة الحسنة التي كانت في نهاية المطاف.

2- نستنتج من قصتي يوسف وموسى ( ) أن العزيز الذي تربى يوسف عنده كان مصريا، وكذلك فرعون موسى كان مصريا، وكلاهما آذى نبيا الله تعالى.

3- اشتراك النبيَّينِ الكريمينِ يوسف وموسى ( ) في: التنعُّم الكبير، والبلاء الكثير؛ فيوسف مرَّتْ حيَّاته بطورين: طور البلاء والرق، وطور التنعُّم والعِزِّ؛ وموسى كذلك، ولكنهما بالعكس, فالطور الأول التنعُّم والعِزِّ في بيت فرعون، والطور الثاني الخوف من القتل والطرد.

4- يستجيب الله – تعالى – لأنبيائه وأوليائه, في أوقات المحن فيوسف (عليه السلام) بعدما اتهموه بإرادة فعل الفاحشة في امرأة العزيز ودخوله السجن، واستمرار إغوائه من امرأة العزيز وغيرها من النسوة دعا ربه قائلا: **{رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ**

الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف: 33، 34].

موسى كذلك بعد أن وكز القبطي فمات أثناء المشاجرة بينه وبين الإسرائيلي، دعا ربه أن ينجيه مما هو فيه من غم قائلا: **{هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}** [القصص: 15 – 17].

5- بعد العسر يسر، والفرج يعقب الشدَّة، طالت الشدَّة أم قصرت، وأن المحن تخفي في طواياها المنح, فكلا النبيين لاقى الألم والمشقة والبلاء في البداية، ثم كان الفرج والمخرج، وبعد الكرب والضيق السعة والسرور.

6- بيان مدى علاقة الوالدين بأبنائهم، سواء علاقة الأب بولده، كما اتضح ذلك من قصة يعقوب مع يوسف ( )، أم علاقة الأم مع ابنها كما في قصة موسى (عليه السلام), وبيان الحب الشديد الذي يكنه الوالدان اتجاه أبنائهما، وأن مفارقة الولد لوالديه تحزنهما حزنًا شديدًا، وهذا يستدعي من الإنسان القيام بحقِّهما ورعايتهما وبرهما.

7- في القصتين الواردتين يتبين لنا أن التفرقة بين الذكور والإناث المبنية على أن الذكور ينتفع بهم الوالد في الأمور المهمة والخطوب الملمة، وأنهم سند للعائلة تفرقة خاطئة، وقد فشلت في قصة يوسف وموسى ( ) ففي قصة يوسف الإخوة هم الذين كادوا لأخيهم، وأرادوا قتله, وكانوا سببا في شقاء أبيهم، وفي قصة موسى (عليه السلام) الأخت هي من سعت واجتهدت في تتبع أثره، وأنها كانت السبب في إرجاعه لأمه وسعادتها، فلا يدري المرء أيهما أقرب له نفعا.

8- دعوة الشباب للعفاف وكيفية كبح الشهوات, من خلال قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) وكذلك من حياء ابنة شعيب في سورة القصص في قوله تعالى: **{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ}** [القصص: 25].

9- من الملاحظ في قصة الرسولين الكريمين أن الشخصية الظاهرة في سورة يوسف هو أبوه الشيخ الكبير يعقوب, ولم يرد ذكر اسم أمه، ولا إشارة إليها إلا في آخر القصة بطريقة عرضية عند ذكر أبويه في قوله تعالى: **{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ}** [يوسف: 100] بينما كانت الشخصية الظاهرة في سورة القصص هي أم سيدنا موسى، ولم يرد ذكر أي شيء عن أبي سيدنا موسى.، ويمكن أن نرجع ذلك لكون يعقوب أبو يوسف نبيا من الأنبياء؛ ليظهر ابتلاؤه وامتحانه من مولاه – سبحانه – هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا تكتمل العبرة والعظة في هذه القصة – قصة يوسف – إلا بذكر أبيه يعقوب (عليه السلام) فلو لم تذكر القصة أباه يعقوب لاختلت القصة، ولما كانت بهذه الرشاقة والجمال، ولعل الحكمة في ذلك أن موسى (عليه السلام) كان رضيعا، والرضيع تكون الأم أكثر إشفاقا عليه من الأب, ولعل الله – سبحانه – يبتلي من شاء كيف شاء، وبما شاء، وفي أي وقت شاء، والله أعلم.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

1- الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ-1974م.

2- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت 1403هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط: الرابعة 1415هـ.

3- إلى الَقُرْآن الكَرِيم لمحمود شلتوت، دار الهلال (د. ت).

4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى 1418هـ.

5- إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت نحو 550هـ)، المحقق: الدكتور/ حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت.

6- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي(ت 373هـ)، تحقيق: د/ محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

7- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت 1420هـ.

8- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى 1408هـ - 1988م.
9- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: الأولى 1376هـ - 1957م.
10- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
11- التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس 1997م.
12- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط: دار ابن خزيمة، الرياض، ط: الأولى 1414هـ.
13- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م.
14- التربية بالقصة للشيخ: محمد صالح المنجد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998م.
15- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

16- التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى 1430هـ.
17- تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى.
18- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م.
19- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ))، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة 1419هـ.
20- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 –774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية 1420هـ – 1999م.
21- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد 1390هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
22- تفسير المراغي للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى 1365هـ – 1946م.
23- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت 710هـ)، حققه وخرج

أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى 1419هـ - 1998م.
24- التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت، ط: العاشرة 1413هـ.
25- التفسير الوسيط للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، ط: الأولى 1422هـ.
26- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (1393هـ = 1973م) - (1414هـ = 1993م).
27- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت 804هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، ط: الأولى 1429هـ - 2008م.
28- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ - 2000م.
29- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.
30- دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير الناشر: دار الفكر - عمان، الأردن، ط: الأولى 1430هـ 2009م.

31- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى 1422هـ.
32- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت 977هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة 1285هـ.
33- السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى 1421هـ – 2001م.
34- سورة يوسف فوائد وفرائد لمحمد بن خالد الخضير، ط: دار الفكر 2007م.
35- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة 1407هـ – 1987م
36- صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط: الثالثة 1407هـ – 1987م.
37- الصحيح المسند من أسباب النزول لمُقْبل بن هَادِي الهَمْدَاني الوادعِيُّ (ت 1422هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الرابعة مزيدة ومنقحة 1408هـ – 1987م.
38- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هـ)، ط: عالم الكتب.

39- الفتوحات الإلهية بتوضيح تَفْسِير الجلالين للدقائق الخفية للعَلاَّمَة الشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور بالجمل (ت 1204هـ)، مطبعة الاستقامة، القاهرة (د. ت).
40- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت 920هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط: الأولى 1419هـ-1999م.
41- قصص الأنبياء لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة، ط: الأولى 1388هـ – 1968م.
42- القصص الَقُرْآني في منظومه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب، بيروت، لبنان (د. ت).
43- القصص في القرآن الكريم لإسلام محمود دربالة، ط: دار الفكر 2002م.
44- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة 1407هـ.
45- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى 1422هـ – 2002م.
46- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1415هـ.

47- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط: الأولى 1419هـ 1998م.
48- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت.
49- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1422هـ.
50- مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: الخامسة 1420هـ/ 1999م.
51- مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير، جمع وتخريج: أحمد أحمد البزرا، ومُحَمَّد بن برزق بن الطرهوني، وحكمت بشير ياسين، ط: الأولى، مكتبة المؤيد، السعودية 1414هـ 1994م.
52- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1411هـ – 1990م.
53- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1411هـ– 1990م.

54- المصاحف لأبي بكر عَبْد الله بن أَبِي داود السجستاني (ت 316هـ)، نشره: د/ آرثر جفري، مطبعة، مصر 1936م.
55- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ). المحقق: رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د/ سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، ط: الأولى 1419هـ.
56- المطلع على ألفاظ المقنع لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت 709هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط: الأولى 1423هـ – 2003م.
57- المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: الثانية 1992م.
58- معالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة 1417هـ – 1997م.
59- معاني أسماء الأنبياء.
60- معجم البلدان لشهاب الدِّيْن ياقوت بن عَبْد الله الحموي الرومي البغدادي أبو عَبْد الله (ت 626هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د. ت).
61- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
62- مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة 1420هـ.

63- مفاتيح الغيب للعلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى 1421هـ – 2000م.

64- موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم (عليه السلام) (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417هـ/96 – 97م لأحمد معمور العسيري، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، ط: الأولى 1417هـ – 1996م.

65- موسوعة السياسة لعبد الوهاب، الكيالي، ط: الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1983م.

66- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لأبي محمد مكي ابن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د/ الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط: الأولى 1429هـ – 2008م.

67- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص عربي	1649
الملخص إنجليزي	1651
المقدمة	1652
التمهيد	1654
المبحث الأول: يوسف وموسي ( ) بين النشأة والطفولة وحياة القصور	1666
المبحث الثاني: يوسف وموسى ( ) ورحلة الابتلاء والاختبار	1696
المبحث الثالث: يوسف وموسى ( ) والنهاية السعيدة	1707
الخاتمة	1714
المصادر والمراجع	1717
فهرس الموضوعات	1726